# القسم الثالث

## قسم الأدب

١- المذهب الشعرى للشاعر محمد محمود زيتون

أ.د / على على صبح

٢- أثر الإسلام في شعر أبى تمام

أ.د / عبده إبراهيم أحمد

٣- التجديد العروضى والصنعة المسرحية

أ.د / عبادة إبراهيم محمد

٤- إخوانيات ذوى الرحم عند هاشم الرفاعى

أ.د / عبادة إبراهيم محمد

٥- ثكل المكان وكونية الأحزان

أ.د / محمد محمد جاهين

٦- التصحيح لتحقيق كتاب جهد النصيح

أ.د / مصطفى رزق السواحلى

٧- ظاهرة التكرار في غزل العزريين

أ.د / على جاد الحق سعيد

٨- البعد السياسى للمدينة العربية

أ.د / عيسى قويدر العبادى

٩- نحو حداثة عربية إسلامية متوازنة

أ.د / محسن يونس

# المذهب الشعرى

## للشاعر محمد محمود زيتون

## [١٩١٦/٣/٤م - ١٩٨٧/١٢/٢٤م]

أ.د / على على صبح

عميد كلية اللغة العربية السابق

بين أحضان الطبيعة الساحرة في مدينة ادكو ، بين الحضن الحنون الخلاب ، وفى رعاية من مظاهر الطبيعة ، تتواصل بعضها مع بعض في حب وتآلف ، تلفها حدائق النخيل والأعناب ، ومن تحتها الرمال الذهبية كحبات اللؤلؤ والمرجان ، ومن حولها يتعانق البحر الأبيض المتوسط مع بحيرة إدكو ، لايفرق بينهما إلا شريان ، ينبض في فرع النيل برشيد ، ومعبر " رقيق كرقة اللون القرمزى في لمى الشفايف الدافئة لبوغاز المعدية ، مثلما يتعانق الحبيبان ، فلم يسلما من العوازل ، مما يزيد جمرة الأشواق وحرارة التلاقى ، وفوق ذلك صفاء الجو وأشعة الشمس الذهبية ، تنعكس على عباب البحر ، ورقة انسياب البحيرة ما بين سحر الطبيعة الحلال ، وجمال الحياة الجذاب.

ولد ابن إدكو البار الشاعر محمد محمود زيتون ، في مدينة إدكو بمحافظة البحيرة ، في الرابع من مارس عام ستة عشر وتسعمائة وألف ميلادية ، تربى وتعلم وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، لكنه التحق بمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية ، عروس الشرق وثغره الباسم وصادق أساتذته: فخرى أبو السعود الصحفى ، والشاعر عبد الرحمن شكرى كما فهما من نشر شعره ومقالاته في تشجيع له حتى أجبراه على طبع أول ديوان له ، وهو طالب في الثانوية عام ١٩٣٥ وهو ديوان "جرس المدرسة" ، ثم التحق بآداب جامعة الإسكندرية ، لكنه آثر أن يتخرج من آداب جامعة القاهرة قسم الفلسفة ، ليكون على قرب واتصال من رواد الجيل المعاصر ، كالعقاد وشكرى وطه حسين وعبدالوهاب عزام وأحمد أمين وإبراهيم ناجى وغيرهم ، وفى أثناء ذلك حصل على

عدة جوائز ، منها جائزة عبدالرحمن شكرى ١٩٣٥، وجائزة أحمد أمين عام ١٩٤٢ ، وجائزة الدولة عام ١٩٤٨،وجائزة الثقافة عام ١٩٤٩[١]

ثم تدرج في الأعمال والوظائف في حقل التدريس بين مراحل التعليم في مصر وبغداد ، ثم عمل رئيساً للشئون الثقافية بالإسكندرية، ثم مديراً عاماً للعلاقات الثقافية بها عام ١٩٦١ ، ثم أميناً عاماً للهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب ، وتم ترشيحه عضواً في وفد مصر لمؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا عام ١٩٦٢م ، وفى أثناء ذلك كان ينشر مقالاته وبحوثه وشعره في الصحف والمجلات ، في الأهرام ، والرسالة، والكتاب وقافلة الزيت ، وخبر الشرق ، وروز اليوسف،والفن والقبس ، والعهد الجديد ، والشهر، والبصير ، والفصول وغيرها، وظهرت له تمثيلية شعرية بإذاعة القاهرة وعنوانها "وحدة الوادى" [٢].

وقد تنوعت مصادر الفكر والثقافة عند الأديب الشاعر زيتون فكان مؤرخاً كتب في التاريخ والحضارة الإنسانية ، فألف في ذلك ١- كتاب تاريخ إدكو مطبعة النهضة عام ١٩٣٦ ، ٢- وإقليم البحر دار المعارف عام ١٩٦٢ ، ٣- والإدارة المحلية في مصر: دار المعارف ١٩٦٢، ٤-معركة كفر الدوار ، دار الشرق الأوسط ١٩٦٢ ، ٥- الصين والعرب عبر التاريخ : دار المعارف ١٩٦٤ ، ٦- حرائق القاهرة ، الدار القومية ١٩٦٠ ، ٧- الألعاب العربية : دار نشر الثقافة ١٩٥٦، ٨- فلسطين ضجة المؤامرات – الدار العربية ١٩٦٤ ، ٩- كفاح الجزائر: الدار العربية ١٩٦٥ ، ١٠- الإمام أبو العباس المرسى محافظة الإسكندرية ١٩٦٨ ، ١١- القبارى زاهد الإسكندرية: دار المعارف ١٩٦٨ ، ومنها تحت الطبع، فاطمة سيدة النساء ، والحافظ السلفى ، وأحلام روتشيلد ، وسكندريات ، وفلسطين تتحدى ، والحركة الفكرية في الإسكندرية ، وغيرها .

وكتب في القصة والرواية فألف : ١- الملك الصياد مطبعة صلاح الدين ، ٢- سلسلة القصص القومية للأطفال ، الدار المصرية

---

(١) في حوار مع زوجته وأولاده .

(٢) ديوان أحلام الربيع : محمد محمود زيتون ، ١٨٤/٣ ، ١٨٥.

للطباعة والنشر بالإسكندرية ١٩٦٢ ، ٣- قصص إسلامية للأطفال صدر فيها عشرون حلقة في المكتب المصرى الحديث بالقاهرة عام ١٩٧٠.

وكتب في الشعر الذاتى والوجدانى الغنائى ، كما كتب في المسرح الشعرى والتمثيلي ، أما القسم الأول فقد صدر منه : ١- جرس المدرسة ، ٢- أحلام الربيع ثلاثة أجزاء ، ٣- أنغام الربيع ، ٤- جنة الخلد تحت الطبع ، ٥- ديوان مخطوط آخر لم يعنون بعنوان ، به ما يقرب من خمسين قصيدة. أما المسرح الشعرى فكتب : ١- مسرحية مينا عام ١٩٤٧. ٢- وحدة الوادى ١٩٤٨ ، ٣- ميلاد النبى ١٩٤٨ ٤- جهاد النبى ١٩٤٩، ٥- تحت أسوار الإسكندرية عام ١٩٧٢.[١]

واشترك مع عمالقة العصر الحديث في صالون أدبى ، ضم كثيرا من أهل الفكر والأدب بالإسكندرية ، وخاصة الدكتور عمر الجارم، وحسن شهاب وعبدالعليم القبانى ، وعبدالمنعم الانصار ، والمستشار فوزى الميلادى ، وعبدالرحمن شكرى ، وفخرى أبو السعود [٢].

**شاعرية زيتون في ميزان النقد :**

تفجرت الموهبة الشعرية عنده في مرحلة مبكرة ، فشجعه أساتذته وأصدقاؤه بنشر أول ديوان له ، وهو "جرس المدرسة" وهو في المرحلة الثانوية عام ١٩٣٥ ، وكانت هذه الموهبة ، قد أصقلتها العوامل السابقة في بيئة إدكو الساحرة ، وبيئة الإسكندرية عروس الشرق ، وكذلك تنوع ثقافاته ومؤلفاته وشعره ومسرحه ورواياته وقصصه ، عمل كل ذلك على صقل موهبته الشعرية ، فاتسمت بناتها الشعرية وثمارها الأدبية بالعذوبة والسهولة ، والرقة والصفاء والسيولة ، مع ثراء التجارب الشعرية وعمق المعانى ، وخصوبة الأفكار ، والإبداع في التصوير الأدبى وبراعة الخيال ، وجمال الصور ، فلا تجد قلقاً في التصوير الأدبى ، ولا اضطرابا في التعبير ، ولا تعقيدا في المضمون ، ولا تغريباً في الشكل والجوهر ، فحينما تقرأ شعره تعتقد أنك مُنحت

---

(١) ديوان أحلام الربيع : محمد محمود زيتون : ٧٦٥/٨٥/٣ ، دار المعارف بمصر – الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

(٢) المرجع السابق : ١٨٨/٣.

موهبته الشعرية ، فأصبحت مشتركا معه في الصدق الفنى في شعره الممتع ، لذلك إذا أراد أن يكتب شعراً ، تفجرت موهبته بالشعر ، ينطلق فيها كالمارد بلا توقف ، حتى نهاية القصيدة ، التي قد تربو على مائتى بيت، ولو كان زيتون الشاعر على فراش المرض ، أو راكباً في ترام الإسكندرية ، أو على شواطئها أو في أى وضع كان ، لأن موهبته لا تقف عند القصيدة بالمعاودة والصقل ولا المراجعة والتهذيب ، بل تنطلق إلى الحياة لأول مرة وفى دفقة واحدة ، فإذا لم يكن مهيأ لنظم الشعر، فأحياناً يكتفى بالمطلع أو عدة أبيات ، دون أن يقسرها على القول ، بل ينصرف عن ذلك ، ولا تستجيب الموهبة لهذه التجربة الشعرية إلا بعد مدة ، قد تبلغ أعواماً أو شهوراً أو أسابيع أو أياماً ، ومن أمثلة ذلك أنه قال شطرة من قصيدة فقط ، وعاد ليستكملها بعد عشرين سنة ، حتى بلغت مائتى بيت ، وهى قصيدة "الزورق الحيران" ومطلعها [1].

أنا في اليم زورق حيران ... شردته الهموم والأحزان
وشراعى به تناوحت الريح ... وأودى بصفحتيه الأمان
وتراقب بى الظنون إلى الغيب ... وللغيب في دمى فيضان
وتوالت كواكب الأفق حسرى ... لم يعد في السماء فيها مكان
واستحال النسيم فيها عواء ... رددته مع الدجى ذؤبان[2]

وأوحى إليه شاطئ المعمورة بجنية البحر ، فبدأها عام ١٩٦٥ بأبيات ثم أكملها عام ١٩٦٨ ومنها :

جنية البحر لها قصة ... قرأتها يوماً قبيل الغروب
في صفحة زرقاء شفافة ... تكاد من رقتها أن تذوب
ألقى لها الموج بأصدائه ... صخابة عن عزمها لا تثوب
سبحان من صورها جذوة ... على سحاب مزقته الخطوب[3]

وكذلك قصيدة "سواقى الفيوم" عام ١٩٦١ ، وقصيدة "تحطمى" عام ١٩٣٣ وغيرها يقول عن تجربته الشعرية : "ولا أذكر يوماً أنى تكلفت أي عناء في قول الشعر ، وإنما ينبثق منى كما ينبثق الينبوع في الحديقة

---

(١) أحلام الربيع : ١٨٦/٣ ، ١٨٧.
(٢) المرجع السابق : ٣٦/١ .
(٣) أحلام الربيع : ٤٠/١ .

الغناء ، أو كالبرق من بين ثناء السحب الثقال ، وقد تستبد بى الخاطرة وأنا راكب أو واقف بالترام ، فأخرج القلم والورق ، وأكتب عشرات الأبيات في نصف ساعة ، وقد تمضى الشهور أو السنوات ولا أكتب بيتاً واحدا ، وأحياناً تفيض قيثارتى بألحان شجية وأنا في فراش المرض، أختلسها اختلاساً من بين آهات أنفرد إليها بعد زيارة الأهل والأحباب، أو في هدأة الليل والناس نيام ، أو في ضوء القمر ، وأنا ممدد على سطح المنزل، أو عندما أتسلل قبل الفجر صيفاً أو شتاء أو ألتقى بالبحر الصاحب مستمتعاً به في مختلف حالاته في شتى الأوقات ، وكأنه يحدثنى وحدى ، وأنا أخاطبه وحده بمكنون سرى ، وهذا هو المزج الواضح في قصيدتى "أنا البحر" (١).

وساعد أيضا في نبوغ شاعريته ، واتخاذ مذهبه الشعرى تشجيع النقاد المعاصرين له ، واتصاله بهم وإعجابهم بشاعريته ، فقد التقى بالرواد المحدثين ، وصادق أساتذته في كلية الآداب ، وأحبهم وتأثر بهم منهم أحمد أمين عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ، والدكتور عبدالوهاب عزام ، والدكتور محمد خلف الله أحمد ، ورشحه هؤلاء الثلاثة سكرتيراً لأسرة الشعر ، التي يشرف عليها محمد خلف الله أحمد حتى عام ١٩٤٢ وفى خلال ذلك فازت قصيدته "أحلام الربيع" بالجائزة الأولى في مسابقة عميد الكلية ، كما فاز بجائزة الشاعر عبدالرحمن شكرى في قصيدته : "الطالب بين الكتاب والقلم" ، كما أشاد بديوانه "جرس المدرسة" ، وكتب مقدمة الديوان أستاذه الصحفى فخرى أبو السعود أشاد فيها بشعره ، وأشاد أيضا بشعره الصحفى المعروف محمد خالد في صفحات الأهرام ، ونسبه إلى مدرسة استاذه عبدالرحمن شكرى ، وزميليه العقاد والمازنى أصحاب مدرسة الديوان.

والتقى بالعقاد في منزله وقرأ عليه قصيدته : "على شاطئ الموت" ، التي نشرت بالأهرام عام ١٩٣٨م ، فكانت هذه القصيدة موضع إعجاب واعتزاز له ، ومن الشاعر أيضا على الجارم ، والناقد محمد خلف الله أحمد ، والفيلسوف يوسف كرم ، وعلق عليها العقاد بقوله: "شاعر مصرى كثير الأخيلة ، وكذلك أشاد بشعره الشاعر

---

(١) أحلام الربيع : ١٨٧/٣.

إبراهيم ناجى في حديث صحفى له بمجلة "الصباح" ، فكما يقول الشاعر زيتون: "ذكرنى فيه بما أعتقد أنى لا أستحقه من الثناء الذي يخجلنى ، ولم يكن بينى وبين ناجى أي صلة شخصية ، فيما عدا التلاقى بيننا على صفحات المجلات والصحف ، التي تنشر لنا أشعارنا ، وإنى لاعتز كل الاعتزاز بهذه الشهادة من شاعر عملاق كإبراهيم ناجى صاحب الأطلال والعودة.[1]

بهذه العوامل اتخذت شاعرية زيتون مذهباً أدبياً ونقدياً حديثاً وجديداً ينسب إلى "مدرسة الديوان" التي أسسها أستاذاه عبدالرحمن شكرى والعقاد وخاصة الأول الذي شجعه على نشر ديوانه الأول ، حيث كان ناظراً في مرحلته الثانوية بالعباسية الثانوية بالإسكندرية ، وكذلك العقاد الذي أعجب بشعره ، لذلك يعد زيتون الشاعر من هذه المدرسة الأدبية الحديثة في تجديد الشعر لاشتمال شعره على القواعد والأصول التي قامت عليها ، ونادت بها هذه المدرسة ، وكذلك تطبيقه للخصائص الفنية لمدرسة الديوان وأبولو ، وسنرى ذلك من خلال دراستنا الفنية لشعره .

**أولا** : تنوع شعر زيتون ما بين الشعر الذاتى والوجدانى ، وبين الشعر المسرحى التمثيلي الموضوعي ، وسبق أن ذكرت الاتجاهين في دواوينه الشعرية دفعاً للتكرار ، لكن الذي نذكره هنا بعض الشواهد من شعره لبيان خصائص الوجدانية في شعره سواء عبر عن ذاته وشخصية أو عبر عن قضايا المجتمع من خلال ذاته ووجدانه فأما النوع الأول فقد غلب على ديوانه "أحلام الربيع" ومنه قصيدة : انطلاق [2]

حطم الأغلال واسخر بالقيود ... لا تقف في وجهك اليوم حدود
وانطلق في الأفق نشوان الخطى ... وامتلك ما شئت في هذا الوجود
وامض في ركب العلا معتزلا ... حمأة الذل وحاذران تعود
ولد القيد مع الأرض ولا ... سيد فيما سواه أو مسود

---

(١) أحلام الربيع : ١٨٦/٣.
(٢) أحلام الربيع : ٦٨/١ .

ومن الشعر الوجدانى الذي اندمجت فيه الذات مع مظاهر الحياة وقضايا المجتمع والطبيعة وهو شعر كثير منها قصيدة "على شاطئ الموت" مندمجاً مع الطبيعة [١].

هي في الطبيعة صورة قدسية ... تصّاغر الأبصار في هالاتها
والموت يبدى عندها آياته ... ولديه تبدى جهرة آياتها
توحى له سراً كما يوحى لها ... حتى استبانت ذاته من ذاتها
وتقارباً في الأصل ثم تباينا ... أو لم يهيئها إلى غاياتها
وعليه من صفر المسوح غلاله. ... لا فرق بين سماته وسماتها

ومن الشعر الموضوعى المسرحى كما في مسارحه الشعرية في مسرحية "تحت أسوار الإسكندرية" ومسرحية : "مينا" ، ومسرحية "جهاد النبى" ومسرحية "ميلاد النبى" وغيرها.

**ثانياً** : الوحدة العضوية في القصيدة وهى من الخواص الفنية التي تسيطر على شعره ، سواء أكان شعرا وجدانياً أو شعراً مسرحياً ، فتجد القصيدة في الشعر الذاتى الوجدانى تقوم على موضوع واحد من المطلع إلى نهاية القصيدة مع التلاؤم بين الموضوع والغرض والترابط بين الأفكار والمعانى في اتساق مع الموضوع والغرض من القصيدة. [٢]

وأما الشعر المسرحى فالوحدة العضوية أكثر ظهوراً وأقوى من الشعر الذاتى والوجدانى لما يبدو فيها من التطور والتنافى في الأحداث حتى تصل إلى النهاية الحتمية من المسرحية. [٣]

**ثالثاً** : الوحدة الفنية وتكون في التلاؤم بين التجربة الشعرية للقصيدة في معانيها وألفاظها وأسلوبها وخيالها وصورها الفنية وموسيقاها وعاطفتها مع الموضوع والغرض من القصيدة ، وهى الخواص الفنية التي لا يخلوا منها شعره يقول في قصيدة " كلب العمدة"[٤]

---

(١) أحلام الربيع : ٣٤/١ .
(٢) الأدب العربى الحديث : د. محمد عبدالمنعم خفاجى ، ٢٤/١ و
(٣) انظر الديوان في الأدب والنقد العقاد من ص ٥٥ ـ ٥٨ ، ٧٩ ـ ٨١ وكتاب ساعات بين الكتب : العقاد ٢٤٦ وغيرها .
(٤) اتجاهات وآراء في النقد الحديث (د.محمد نايل أحمد) .

قد كان جدى عمدة لإدكو ... يحكم فيها كما يشاء
وكان فيها حاكماً بأمره ... وكلهم في عدله سواء
إن دخل الحرير يوماً قصره ... أدهشه وهاله الثراء
خيوله تحت النخيل تصهل ... يفر من حراسها الأعداء
وكلب ينبح كل ساعة ... وانتشرت ببطشه الأنباء
إذا شكا شاك جاء خصمه ... فالكلب وحده هو الدواء
بذاك ساد العدل دون رجعة ... واختفت الجريمة النكراء
وعندما رشحت نفسى نائباً ... تذكر الأجداد والآباء
قالوا ألیس جده الذي ... بالكلب ربى أهلكم فاستاءوا
وانتخبوا من كان دونى همة ... وديدنى العزة والإباء
لو عرفوا لكلب جدى فضله ... لاختارنى الآباء والأبناء [1]

**رابعاً** : خصوبة المعانى والعمق في الأفكار ، والطرافة فيها فلا يميل الشاعر إلى التقليد فيها ، بل أن يستمدها من الحياة المعاصرة ، ومن بوتقة الحياة ، فهى التي تحرك العاطفة والمشاعر ، وتلهب الوجدان، فيتنفس الشاعر عن واقعه الذي يعيشه هو ، بعيدا عن تقليد الآخرين لذلك نجد شعر زيتون هو قطعة من حياته ، وأنفاساً حارة من نفسه وقلبه ، مما يدفع غيره أن يعيش تجربته الشعرية ، وأن يتابع القصيدة معنى معنى وفكرة فكرة في وحى وعمق وتأمل ، ويجد في القصيدة من الأفكار ما يتفق مع الفكر في الحياة المعاصرة ، فتتفتح لها منافذ الإدراك المختلفة في النفس ، كما في قصيدة : "الزورق الحيران" وغيرها يقول في قصيدة : "أنا البحر" :

أنا البحر يندى العباب لخاطرى ... فلا شاطئ يأوى إليه ولا صخر
أنا البحر والدنيا العريضة دولتى ... وحكمى بها حكم وأمرى هو الأمر
أنا البحر من ينزل حماى ردته ... أما كان يدرى أن قاعى له قبر
أنا البحر كم صالت وجالت كتائبى ... وفى صولتى كنز وفى جولتى ذخر
أنا البحر أسرارى طلاسم جمة ... ينوء بها عقل، وينأى بها فكر [2]

---

(١) انظر العقاد . مطالعات : ١٤٦ – ١٥٨ ، وساعات : ١٩٥ ، والفصول : ٣ - ٥ .
(٢) أحلام الربيع : ٢٨/١ .

خامساً : ألا تقتصر التجارب الشعرية على شعر المناسبات للطبقات العليا في المجتمع من الملوك والرؤساء والزعماء والقادة والعلماء ، بل ينبغي أن تنزل إلى الشارع العام فيلتقط منها الشاعر صورا شعبية ، ومناظر عادية متكررة تشف عن القرب والدنو وأحوال الناس العادية في الحياة اليومية [1] ، وعند الشاعر زيتون قصائد كثيرة في ذلك منها: "تيجو" اسم كلب ، وقصيدة "كلب العمدة" وقصيدة "شاى وقهوة" ، وقصيدة "حواء والترام" ، وقصيدة "خنفس" الذي يقول فيها :

حسبته فتاه ... العفو يا فتاه
فشعره مسترسل ... غطى على قفاه
أين إذن جبينه ... وأين حاجباه
قميص مزركش ... يذهل من يراه
تنافرت ألوانه ... والذوق فيه تاه
حتى المفاتيح التي ... تلهو بها يداه
وخاتم يلمع في ... يمناه أو يسراه
وصوته مخنث ... تنفر من صداه
في جيده سلسلة ... كذاك معصماه
كالخيزران عوده ... فما الذي لواه
كل لسان ساخر ... بنكتة ... رماه
وكل من يراه ... يخجل أن يراه
واضيعة الشباب حين ضاع مستواه
فمن إذن نرجو وهم سفينة النجاة
ويالهم من وصمة ... تندى لها الجباه
كيف يرجى مثلهم ... للذود عن حماه
وكيف تعلو راية ... ليس لها حماة
وكيف تبنى أمةٌ ... مجدا بلا بُناه
يا ويح جيل فيه ... أصبح الفتى فتاه [2]

---

(١) الديوان في الأدب والنقد، وشعراء مصر وبيناتهم ١٩٦-٢٠٣ ومطالعات في الكتب، ٢٧٨.
(٢) انغام الربيع : مخطوط .

سادساً : تناسب الألفاظ والأساليب الفصيحة الصحيحة والبليغة وكذلك الصور والأخيلة مع أسلوب الحياة المعاصرة المستمدة من الواقع والحياة ، فلا تجد غرابة أو وحشية أو غموضا وتعقيداً ، أو استغلاقاً وتطرفا أو عامية وسوقية وابتذالا ، أو خطأ في الاشتقاق وفى التصريف وفى الإعراب ، بل تجد أسلوباً سهلاً عذباً واضحاً شفافاً موحيا صحيحاً بليغاً ، يفهمه الجميع على نهج القرآن الكريم ، وهذا ما كان عليه الشاعر زيتون في شعره كله ، لا تحتاج في فهمه والتأثر به إلى معاجم لغوية أو استعانة بآخرين أو طول نظر ، بل تجد الألفاظ والأساليب والصور واضحة ، لا تحتاج إلى تعليق ، وتتفتح لها منافذ الإدراك لأول وهلة وبسرعة وغيرها من الخصائص الأسلوبية عند مدرسة أبولو [1] ، وإذا فتشت عن ذلك فلا تكاد تجد قصيدة في شعره تخلو من ذلك.

**سابعاً** : ألا تسيطر المناسبات الشعرية في المدح والرثاء والتهنئة على الذاتية في الشعر ، مما يهبط بالشاعر إلى التقليد السافر ، ويهبط بالشعر عن الفن السامى وعن الإبداع فيه ، وليس معنى ذلك أن الشعر لابد أن يخلو من المناسبات ،بل ينبغى إن وجدت المناسبة فيه أن تكون بمثابة مفجر للتجربة الشعرية ومحركا للعاطفة فيه فقط ، ثم بعد ذلك يعود في كل ما يقول إلى ذاته ووجدانه ، لينطلق إلى تمجيد القيم السامية وإلى المبادئ الإنسانية الفاضلة بصفة عامة من خلال الشخصية الممدوحة أو المرثية ، التي تناولها الشاعر في شعره ، فقد تناول زيتون الشاعر شعراً في المناسبات النبوية ، وفى النبى القائد (ﷺ) ، وفى مدح صلاح الدين ، وابن خلدون والبارودى . ومصطفى كامل ، وطه حسين وغيرهم ، دون أن تشعر بالمناسبة في كل الأبيات ، يقول زيتون في قصيدة صلاح الدين :

إليك صلاح الدين أزجى تحيتي ... ومثلك لا تكفيه أى تحية
سعيت إلى المحراب بابنيك ساجدا ... وعرفت بالتقوى حياة النبوة
وجمعت شمل العرب بعد تفرق ... فما بعدت بغداد عن أهل برقة
وهل بردى إلا أخو النيل في الهوى ... وقد أقبلا نحو الفرات ودجلة
سل البحر هل شابت نواصيه عن رضى ... وإلا بما أودعته من ضحية

(١) الأدب العربى الحديث : د. محمد عبدالمنعم خفاجى : ٢٧/٢ ، ٢٨.

أتتك أساطين المضلين فانثنت ... بحرقة نار في الضلوع وحرة
وجاءك نصر الله في كل وقعة ... بعكا وحطين وإسكندرية
وعن صخرة القدس الشريف رددتهم ... فنلت الرضى من مسجد وكنيسة
فهلا ذكرتم يا بنى الغرب أننا ... على عهدنا أسد الوغى والفتوة
هو الحق أعلينا كالشمس ساطعاً ... فكانت لنا في الدهر أعظم نصرة[1]

**ثامناً** : الصدق الفنى في المشاعر والأحاسيس ، فيعبر الشاعر عن إحساسه ومشاعره بلا زيف أو تقليد ، أو كذب أو تلفيق أو فتور وضعف ، فتنبض الأساليب والصور بمشاعره ، وتعبر عن شخصية – الشعرية ، وأن تنقل إلى الآخرين ذلك الشاعر فردا وحده لا غيره، حتى لا تذوب شخصيته في شعر المتقدمين أو المعاصرين ، فلا نفرق بين شاعر وآخر ، بل الجميع سواء في أسلوب القصيدة وصورها ، وهذه الفردية في المشاعر ، التي تعبر عن مشاعره الذاتية ، نجدها بصفة عامة في شعر زيتون ، فتجد أعمق المعانى وخصوصيتها وحيويتها من زيتون عالم النفس والفلسفة ، وتجد سلاسة الأسلوب وعذوبة الموسيقى وواقعية الصور الساحرة ، قد استمدها زيتون من بيئته في إدكو والإسكندرية، وتجد موضوعاته وأغراضه مستمدة من واقع حياته المعاصرة، وتجد خيالاته العميقة المتنوعة ، كما أشاد بها العقاد في شعره ترجع إلى تنوع ثقافته العربية والفرنسية والأجنبية والتاريخية والحضارية والإصلاحية والإنسانية [2].

أنك تلمس ذلك كله في شعره ، فدواوينه الشعرية جاءت صورة متنوعة ، مطابقة لشخصيته المثقفة الواعية العميقة ، وأقرأ معى أي قصيدة من شعره ، فلا تغيب عنها هذه الخصائص الفنية ، التي تتلمذ فيها على أصحاب مدرسة أصحاب الديوان ، وأبولو ومذهبهم الأدبى والنقدى. وفى ذكرى الإسراء والمعراج اليوم يقول زيتون الشاعر :

---

(١) أحلام الربيع : ٣ / ١٧٦ .
(٢) انظر للعقاد : الديوان في الأدب والنقد: ٣٦ – ٣٩ ، وفى الكتب والحياة ، وابن الرومى حياته من شعره ، وشعراء مصر وبيناتهم ٧١ – ٥ – ومطالعات وغيرها .

المسجد الأقصى الذي باركت ... أرجاءه عين به محدقة
عينُ الذي أسرى إليه دجىً ... بعيده في ومضة مشرقة
أفضى إليه من أعاجيبه ... وفض من أسراره المغلقة
واتصل الخلق بخلاقه ... في سدرة للمنتهى مورقة
هنا التقى عيسى وموسى به ... في موكب سبحان من نسقه
القدس يا ويلاه عاشت به ... سليلة الكفران والزندقة
غلقت الأبواب في وجهه ... ولم تكن أبوابنا مغلقة
بكى السلام السمح في أرضنا ... لكنه فض اليد الموثقة
وانقض إعصار الضحى يفتدى ... أقداسنا الكبرى وما أشوقه
خف إلى الثأر أسود الثرى ... وهم حماة الحق أهل الثقة
واهتز في الإسلام روح الفدا ... وكل جندى بنى خندقه
جريمة العصر وهل تمحى ... إلا بمحو الأعين الضيقة
يا مسجدى الأقصى وقبلتى ... الأولى وروحُ الله في المنطقة
لاعشت إن لم انتقم ولتمت ... أمٌّ على أولادها مشفقة
ولتبن إسرائيل في غيهّا ... حتى أراها في غدٍ مغرقة[1]

## الأغراض الأدبية
## في شعر زيتون

تنوعت الأغراض الشعرية في شعر محمد محمود زيتون وخاصة الأغراض الأدبية التي تجاوبت مع ظروف العصر الحديث ومقتضياته في أطوارها المتغيرة والحديثة ؛ فالشاعر زيتون كانت تجاربه الشعرية نابعة من حقله الشعرى الشخصى والوطنى والقومى والإسلامي فهو يعيش من خلال شعره في تجاربه الأدبية المعاصرة ؛ فلا ينطلق من قيود الأغراض الأدبية في العصور القديمة ، بل كان من

(١) الديوان المخطوط ـ الوعى الإسلامي بالكويت .

الشعراء المحدثين ، الذي خلصوا الأغراض الأدبية في العصر المملوكى والعصر العثمانى التي خضعت للتقليد والجمود وقصره على المناسبات التي ، أزهقت روحه ، وقضت على أصالته وحيويته ، ولعله تأثر كثيراً باتجاه المدارس الشعرية الجديدة مثل مدرسة العقاد ومدرسة أبولو ، ومدرسة شعر المهجر وغيرها ؛ فهذه المدارس رفضت التقليد السافر في الجيل السابق ، وما قبله في العصور المتأخرة قبل العصر الحديث ، وبل شنّ العقاد وأصحابه حملة عنيفة على شعر التقليد وشعر المناسبات التي تجرد من الأصالة والشخصية والذاتية والفردية .[1]

وكذلك مدرسة أبولو قد ثارت على شعر التقليد وشعر المناسبات التي تجردت من المشاعر والعواطف والوحى الشعرى وغيرها من الخصائص التي تأثرت بها مدرستهم في الاتجاه "الرومانسى" في أغراضه الأدبية .[2]

أشار الشاعر زيتون في إبداعه الشعرى إلى هذه الخصائص الفنية لأغراضه الشعرية من الأصالة والمشاعر الذاتية والفردية والشخصية، والتجارب الشعرية القومية والوطنية والإسلامية في إبداعه الشعرى ، وفى جميع أغراضه الشعرية الكثيرة والمتنوعة ، التي كادت تشمل جميع الأغراض في الأدب العربى ما عدا الأغراض التي غاب فيها الحس الشعرى والأصالة الأدبية ، من نماذج المدح أو الغزل التقليدي أو الهجاء الشخصي الممقوت ، أو الخمريات التي تجرد فيها شعره وغيرها من النماذج الشعرية الهابطة والجامدة بعيدا عن التقليد السافر والشعر الممسوخ والأدب الهابط ، بل كانت شاعريته جادة تسمو بالمشاعر والأحاسيس ، التي تعمل على تهذيب المتلقى وسموه من الابتذال والانحراف والفساد ، بل يترك في نفسه أثاراً أخلاقية سامية، ويحيى في نفسه قيماً سامية ، ومبادئ إنسانية راقية ؛ لأنه وهب حياته وشعره للدعوة إلى المبادئ الإنسانية ، والقيم السامية والأخلاق الفاضلة؛ فقد كان رحمه الله تعالى من رواد التربية والتعليم طول حياته مدرساً

---

(١) انظر العقاد : الديوان في الأدب والنقد ، وشعراء مصر وبيناتهم ، ومطالعات ، وساعات بين الكتب وغيرها.

(٢) الأدب العربى الحديث : د. محمد عبدالمنعم خفاجى : ٣٠/٢ – ٥٢ .

وموجهـا ، وأمينـا لرعايـة الفنـون والآداب والعلـوم الاجتماعيـة فـي الإسكندرية يشير إلى ذلك كله في إبداعه للأغراض الشعرية عندما يقول: [1]

ولا أذكر يوما أنى تكلفت أي عناء في قول الشعر ، وإنما ينبثق منى كما ينبثق الينبوع في الحديقة الغناء ، أو كالبرق من بين ثنايا السحب الثقال، وقد يستبد بى الخاطر وأنا راكب أو واقف بالترام ، فأخرج القلم والورق وأكتب عشرات الأبيات في نصف ساعة ، وقد تمضى الشهور أو السنوات ولا أكتب بيتاً واحداً ، وأحياناً تفيض قيثارتى بألحان شجية ، وأنا في فراش المرض ، أختلسها اختلاسا من بين آهات أنفرد بها بعد انتهاء زيارة الأهل والأحباب ، أو في هدأة الليل والناس نيام ، أو في ضوء القمر ، وأنا ممدد على سطح المنزل ، أو عندما أتسلل قبل الفجر صيفاً أو شتاء فألتقى بالبحر الصاخب مستمتعاً به في مختلف حالاته وفى شتى الأوقات ، وكأنه يحدثنى وحدى ، وأنا أخصه وحده بمكنون سرى، وهذا هو المزج الواضح في قصيدتى "أنا البحر" .

ولعل مجموعة القصائد التي نظمها تحت عنوان "الحياة" في الديوان تشير إلى أن كثيرا من الأحداث الجارية قد وجدت انطباعات لها في نفسى على مستويات متفاوتة من الفردية والوطنية والقومية والإنسانية إلى جانب القصائد الأخرى التي تم تبويبها فيما قبل هذا الفصل وما بعده، وبذلك لا يستطيع الشاعر أن ، يقف مكتوف الانفعالات ، في هذا العصر الذي تقاربت فيه الأبعاد ، وهو الذي يصبغها كيف يشاء من تجاربه، ويضفى عليها من ألحانه وألوانه ما يكفل له الاستجابة الدائمة لدواعى الحياة بدور يخلف عنها أو جحود إزاءها . [2]

## الشعر الوجدانى

تنوعت التجارب الشعرية في دواوينه للشعر الوجدانى ، فقد صور فيه الشاعر زيتون مشاعره الوجدانية السامية في تصوير أدبى راق وأسلوب فنى مهذب وانتقاء للكلمات والتراكيب والصور في طهر

---

(١) ديوان أحلام الربيع : محمد محمود زيتون : ٣/ ١٨٧ ، ١٨٨.
(٢) أحلام الربيع : محمد محمود ذيتون ١٨٨/٣.

وعفاف، وبلا إسفاف ولا قبح ، وبدون تصوير مكشوف هابط ، أو تعبير عن شذوذ ممقوت ، أو إنحراف مرفوض ، يقول في قصيدته "لا تنكرى"[1] .

لك فيّ لحن وفى عيني سنى ... والطائر الخفاق بين ضلوعى
استلهم النغم الشجى واستقى ... نور الحياة فأنت شمس سطوعى
لى كالفراشة لهفة لا ترتوى ... إلا بكأس من جوى وولوع
كأس سكبت بها منای ونشوتى ... وفرجت فيها مهجتى ودموعى
وأبيت ظمآن الجوانح لم تدع ... نار الهيام بهن غير صدوع
أسمعت لحن دمى يرف مع الكرى ... أسمعت رجع صداه في الينبوع
قلب يذوب ولم تزل أنفاسه ... تنساب بين عواطف وشموع
يهفو إليك وأن منك لهيبه ... بل أين قدسك في الهوى وربوعى
يا من إذا طلع الصباح بوجهها ... هزت إليها فرحتى وخشوعى
لا تنكرى منى هواى فإننى ... كالنجم أبحث عنك حين طلوعى

وهكذا كان زيتون الشاعر في شعره الوجدانى عفيفا طاهرا في إنسانية سامية ، راقية من خلال تصويره الأدبى السامى ،وجاءت كل قصائده الوجدانية على هذا النحو يقول :

أنا لحن حائم حولك يا قيثارتى .·. ونسيم هائم بالعصر ياريحانى[2]

من قصيدته "أحلام الربيع" التي يقول فيها :

يا حياتى أنت في قلبى دنيا من جمال
وأنا العابد في محرابه بين الظلال
وإذا ما الحب نادانا إلى وادى الخيال
وتساقينا هوانا ومنانا في الليالى
فابعثى أنفاس قلبى .. وأعيدى فجر حبى
في سنى الفجر الوديع .. بين أحلام الربيع

وهكذا كان الشاعر زيتون في شعره الوجدانى الذي جاء في قصائد متنوعة وكثيرة ، وهى قصيدة "غيران" أحلام الربيع: ٩/١، ١٠،

---

(١) أحلام الربيع : ١ / ٢٢.
(٢) أحلام الربيع : ١ / ٧ ، ٨ .

وقصيدة "عاد الربيع" أحلام الربيع : ١ / ١١ ، ١٢ ، وقصيدة "أحلام الربيع" ١٣/١ – ١٥ وقصيدة: "قلبى لديك" أحلام الربيع : ١٦/١ ، وقصيدة "نجمة الفجر" أحلام الربيع : ٢٠/١ ، ٢١ .

وغالباً ما تمتزج مشاعره بالطبيعة ، وينصهر وجدانه في مظاهرها ، فيصور نفسه وأحاسيسها في سجو البحو وهدير مواجه ، ويعبر عنه وجدانه ومشاعره في دياجير البحر وعبابه وزبده. وذلك حين يتجاوب الشاعر زيتون الشاعر مع مكنونات البحر وأعماقه ، وهديره وأمواجه ، وسجوه وانسيابه ، وكذلك الأمر إذا صور الصحراء والجبال والأشجار والنبات والحيوان وغيرها ، يقول في مطولته : "أنا البحر".

أنا البحر لا حلو لدىّ ولا مرّ ... وسيان في عيني التجهم والبشر
أنا البحر إلا أننى لا تحدثنى ... شواطئ يرسو عندها المد والجزر
أنا البحر أحشائى كهوف سحيقة ... يلج بها سر ، ويعيا بها صدر
أنا البحر لم يعلق هواى بزائف ... ولا يستبينى زخرف منه أو بهر
أنا البحر إن زمجرت فالأسد ترعوى ... وينساب في أوصالها الخوف والذعر
أنا البحر تسكاب السموات في يدى ... أجود على الدنيا فينهمر القطر

أنا البحر أجلو في الربيع صحائفى ... فيزهو بها وجه ويحلو بها ثغر
أنا البحر آهاتى أعاصير ثورة ... وغارات عملاق ألمّ به نكر
أنا البحر أضلاعى مراجل نارها ... مسعرة لا يستقر لها قدر
أنا البحر لى في الأمس والغد ذمة ... ولكن يومى بين شطها قفر
أنا البحر أحْدُو للظلام فيرتمى ... وأحبوا الورى عطفى فيبتسم الفجر
أنا البحر أحلامى التي قد وأدتها ... تعاودنى دوماً فيسأمها الذكر [1]

ومن الشعر الوجدانى عند زيتون الشاعر بعض غزلياته الذي يتحفظ فيها بلا سفور أو بلا تصوير مكشوف ، ولا بذاءات فاضحة تأنف منها الفطرة المستقيمة ؛ فهو غزل لا يخرج عن إطار العفة والطهر، وإن بدت فيه بعض الصور الحسية ، بلا تجريح ولا إساءة إلى المرأة، بل يؤكد هذا الاتجاه السامى في غزله فليس غزلا مجوناً لا مبالغة فيه، وبلا هلاك فيه للمحبين ، بل غزل وحب يحكمه العقل ، وتشده الحكمة، وتجمله الحنكة ، وسلامة الحس والتجربة ، وإنما أقصى ما يصوره أن

(١) أحلام الربيع: ٢٧/١ ، ٢٨ .

الهجر عنده يترك آهاتاً وأحزاناً ودموعاً ، ومأساة ، يقول في قصيدته :
"أنا لن أعود"

إننـى لـن أعـود حتـى تعـودا ... وكفـانى فقـد سـئمت الوعـودا
كلمـا طـاف المنـى بخيـالى ... طـال شوقى فصغت منها عقودا
لا تلمنـى أو كيفمـا شـئت لمنـى ... وابق لى حيث كنت سمحا ودودا
عشـت بالـذكريات حتـى تهـاوت ... وانقضـى العمـر لهفـة وصـمودا
وإذ هزنـى إليـك حنـين ... سـاق آهاتـه علـى شـهودا
أنـت أسـطورة الزمـان ولغـز ... حملتـه الأشـجان دهـراً عضـودا
وهنيئـاً للائـم مـن ملـوم ... لـم ينـل مـن هـواه إلا الجمـودا
راح يبكـى وكيـف يبكـى ودنيـاه ... علـى عهـدها تخـون العهـودا
أنت"ليلى" لكننى لست "بالمجنون" ... أرضـى بمـا رضـيت صـدودا
ضاقت الأرض فلتضق كيف شاءت ... ولقـد شـئت أن أشـق الحـدودا
شـهوة الليـل لـن تـدوم مـع الليـل ... وكـم سـاقت الليـالى رعـودا
كـم شـقىّ تخطفتـه المآسـى ... وتهـاوت عليـه زرقـاء سـودا
وإذ بالـدموع صـرن زغاريـد ... وحـركن فـي الغصـون الـورودا
فارقصـى يـا طيـور فـوق الروابـى ... وتـأنقن أعـذارى قـدودا
هـذه فرحـة انتصـارى فمـا عـدت ... لأخشـى جنـادلا أو سـدودا[1]

وحينا يتناول الغزل ، يتناوله لا بالترغيب في محاسن المرأة ، ولا بإغراء المتلقى في الافتتان بجمالها المحسوس ، ولا بمفاتنها اللاهية والعابثة ؛ لكنه ينفر المتلقى من هذا التبرج ، فيظهره في صورة قبيحة منفرة ، تشمئز فيها النفس ، بل يصل أحياناً إلى السخرية منها ، وإلى الترفع عن هذه العورات ، وتلك المقابح التي ينبغى على المرأة ألا تعرض نفسها لهذه المهانة ، ولا لمواطن الاستهزاء والكره ، بل هو الاشمئزاز والنفور نفسه يقول في قصيدته : "حواء في الترام"[2]

لا تشـدى ثيابـك الفاتنـات ... ودعيهـا لحالهـا يـا فتـاتى
واسـترى ركبتيـك عنـا فإنـا ... قـد سـئمنا سـيقانك العاريـات

(١) الديوان المخطوط بلا عنوان : نشرت في الثقافة في أكتوبر ١٩٧٧م.
(٢) أحلام الربيع : ١٤١/٣ ، ١٤٢ .

كل من بالترام يلهو بساقيك ... ويرنوا إليك في خلسات

إلى أن يقول :

خالق الحسن قد نهى أن يباع ... الحسن بخسا للأعين الجائعات
كل هذه الأصباغ شانت محياك ... وعادت عليك بالسخريات
أتظنين أن أختك "حتشبسوت ... كانت بهذه القسمات
أم "كليوباترة" التي أطاحت بروما ... قد تلقت عطورك الفائحات
أم ترى أنت فقت "نفرتيتى" ... جمالا ما بين ماض وآت
إنما أنت طعمة للملايين ... فصونى المحاسن الصارخات
قد ركبنا الترام حتى نسينا ... بك دنيا محدودة الساعات
فالبثى فيه ما تشائين وامض ... قصة الرائحين والرائحات
آدم أنزلته حواء للأرض ... فذقنا كئوسها حسرات

## شعر التأمل

لقد التحق زيتون الشاعر بكلية الآداب فاختار قسما فيها ، يتفق مع ميوله الفكرية والعقلية والثقافية ، وهو قسم "الفلسفة" ، وأظهر فيه تفوقاً كبيراً ، آثار من حوله من أساتذته وأصدقائه ، حتى كلفه عميد الكلية د.أحمد أمين بإخراج مجلة الكلية ، والإشراف عليها وهو طالب ، وعن طريقها عمق اتجاهه ، وأبحر في أبعاده العقلية والنفسية والفلسفية، فاتخذ ذلك له منهجاً في حياته ، وهو المنهج العقلى والفلسفى ؛ لذلك نراه يميل إلى مدرسة الديوان ، وعمودها العمق الفكرى أكثر من ميله إلى مدرسة أبولو ، الذي يغلب عليها البعد الحسى والواقعى ، والرومانسى.

لذلك كانت الأغراض الشعرية عند زيتون الشاعر خاضعة لهذا الاتجاه العقلى والفلسفى ، فلا يخلو منه غرض عنده من الأغراض الأدبية ومن الإبحار في الفكر وجوب العقل ، وسيطرة التأمل الفلسفى عليه.

لكن الأغراض الشعرية عنده خضعت للتقسيم النقدى في الأغراض لمقياس الغالب ، فحينما تسيطر الطبيعة على التأمل غالباً ، جعلته غرضا مستقلاً ، وهو شعر الطبيعة ، وحينما يسيطر الجانب الوطنى أو القومى أو الاجتماعى أو السخرية والفكاهة . والفخر

والوجدان والغزل في الغالب تنفصل هذه الأغراض عن شعر التأمل، أما إذا غلب التأمل وسيطر على القصيدة صار شعر التأمل غرضاً مستقلا. وتنوعت عنده موضوعاته ومجالاته كما يتضح ذلك من خلال عناوين القصائد التي ساقها في شعر التأمل وهى كثيرة ، وردت في معظم شعره، بل وفى مسرحياته الشعرية التي سنتحدث عنها بعد ذلك ، وتأمل معى حين ينطلق زيتون الشاعر وراء الآفاق ، وهو يتأمل أسرار الكون والحياة يقول في قصيدته "انطلاق" التي بلغت ستا وسبعين بيتاً منها قوله : [1]

حطم الأغلال واسخر بالقيود ... لا تقف في وجهك اليوم حدود
وانطلق في الآفق نشوان الخطى ... وامتلك ما شئت في هذا الوجود
وامض في ركب العلا معتزلا ... حمأة الذل وحاذر أن تعود
ولد القيد مع الأرض ولا ... سيد – فيما سواها – أو مسود

---

يا أخا الذرة في عصر الفضاء ... ما الذي صدك عن صوت السماء
قم إلى الصاروخ واختر كوكبا ... وابعث البهجة فيه والنماء
أنت روح الله لا عبد لمن ... أودعوا الآلهة أسرار الشقاء
ها هنا العيش صفاء ونقاء ... وحياة برئت من كل داء

---

طر إلى المجهول من كل طريق ... وامح عن أسراره الوهم الصفيق
إن يوما لم ترد فيه هدى ... وانطلاقاً .. هو بالموت خليق
النجوم البيض أكواب السنى ... والسنى للثائر الحرّ رحيق
ما حياة الحرّ إن لم يستبح ... صهوة الغيب .. وإن طال الطريق

---

أنت روح صيغ في ماء وطين ... فتمارى فيك إبليس اللعين
أخذ العهد فصرنا لعبة ... بين قرنية يا بئس القرين

---

(١) أحلام الربيع : ٦٨/٢ – ٧٣ .

يا أعز الخلق في هذا الورى ... لم لا تطرح أعباء السنين ؟!
إنها الثورة تحدو ركبنا ... للعلا .. إن العلا حصن حصين

---

رائد الأفلاك يا غازى القمر ... خذ بأيدينا فقد طال السفر
هزنا الشوق إلى أمجادنا ... بعد أن عشنا زماناً في ضجر
فمتى نلقى عليها قبلة ... شفها الوجد إلى الثغر الأغر
ومتى نهتف من أعماقنا ... صدق الإيمان والعلم انتصر

وقد تنوعت الموسيقى الشعرية عند زيتون الشاعر ؛ فهذه القصيدة جاءت على نظام الرباعيات ، وكل مقطع يقوم على أربعة أبيات، وشعر المقطعيات من أشكال الشعر الحديث والموسيقى الشعرية الحديثة ، وقد تنوعت الموسيقى الشعرية عنده ، فمنه ما هو متحد القافية والوزن ، ويقوم على هذا معظم شعره ، ومنه ما يتخذ نظام المقطبات ، ونظام الرباعيات، ومنها ما يسير على نظام الشعر المرسل ، وغيرها من ألوان التجديد في الموسيقى الشعرية الحديثة ، لكن زيتون الشاعر خلا شعره من "التفعيلة" ، ومن باب أولى فلم يتطرق إلى فكرة القصيدة النثرية مطلقاً بل كان يهاجم ذلك ويأباه على الشعر العربى الأصيل ، لأن مذهبه الشعرى يقوم على الأصالة والتجديد ، والعراقة والتحديث. وتنوعت موضوعات "التأمل" في شعره في قصائد كثيرة ، كما جاءت في مطولات وقصائد طويلة ومتوسطة وقصيرة لا تقل عن عشرة أبيات مثل قصيدة "غريب" أحلام الربيع ٦٤/٢ ، في خمسة عشر بيتا ومثل قصيدة "فوق الحياة" أحلام الربيع : ٦٣/٢ ، وقصيدة "ألحان الفن" أحلام الربيع: ٦٥/٢ وغيرها من القصائد التي جاءت على هذا النحو وسنذكرها في صفحاتها ، أما القصائد الطويلة فهى قصيدة "إلى النود" أحلام الربيع : ٦٦/٢ ، ٦٧ ، وقصيدة "إلى النور" أحلام الربيع: ٦٧/٦٦/٢ ، وقصيدة "شعاع" أحلام الربيع : ٧٣ ـ ٧٥ ، وقصيدة : "تحطمى" أحلام الربيع : ٧٦ ـ ٧٩ ، وقصيدة : "حياة الغريبة" أحلام الربيع : ٨٢/٨ ، وقصيدة : "أعاصير" أحلام الربيع : ٨٣/٢ ـ ٨٥ ، وقصيدة: "فيمن حولى" أحلام الربيع ٨٦/٢ ، وقصيدة : "ينتحر" أحلام

الربيع ١٠٦/٢ – ١٠٩ وقصيدة : "صراحة" أنغام الربيع مخطوط [١] وقصيدة "حياة حديثة" أنغام الربيع مخطوط [٢] وقصيدة : "لا تعد يا شباب" انغام الربيع [٣] وقصيدة : "شدة" مخطوط بلا عنوان ، وقصيدة : "أنا لم أزل أشكو الجراح" : مخطوط بلا عنوان [٤] ، وقصيدة : "عبقرى الزمان" مخطوط بلا عنوان [٥] ، وقصيدة : "زيت وزيتون" مخطوط بلا عنوان [٦] ،وقصيدة : "فوق السحاب" مخطوط بلا عنوان [٧] ، وقصيدة : "أملى" مخطوط بلا عنوان [٨] ، وقصيدة : "شطحات" مخطوط بلا عنوان يقول فيها :

هبطت عليك من السماء فهل نظرت إلى السماء
أم هل سمت الأرض وهى تضج من هذا اللقاء
لم تشك من برق ورعد كل صيف أو شتاء
وأراك إنسان .. تعبث في الصباح وفى المساء
قضيت عمرك في محيطات تناهت في الخفاء
وانهارت الأعماق والأبعاد في غزو الفضاء
قف بى على الميزان واشهد بالعدالة لا ترانى
لا تَخْشَ جبارا عتيا أو تراهن بالإخاء
وخذ الأمور بما يليق مع الأخوة والعداء
الناس إن شكروا فما في شكرهم غير الرياء
والذم عندهم غريزة من تفرد بالهجاء
والحقد والبغضاء فيهم كالحلاوة في الهواء
هم يحسدونك إن ظمئت وعشت في قوم ظماء
ويدور بينهم الحوار عليك من غير انتهاء
دعهم يخوضوا في سفاسفهم ويمضوا للفناء

---

(١) قالها : في ١٩٧٠/٩/١٧ م .
(٢) قالها في ١٩٧٨/٥/٢٧م .
(٣) أنشدها في ١٩٧٨/٤/٢٤م.
(٤) أنشدها في ١٩٧٠/١٠/١٥.
(٥) أنشدها في ١٩٧٨/٤/١٣م.
(٦) أنشدها في ١٩٧٨/٥/٢٨.
(٧) أنشدها في ١٩٧٧/٤/١٥.
(٨) أنشدها في ١٩٧٨/٤/٢٩م.

ليس الحقود ابن الحقود بعارف سبل النماء
أنعم بمن نصروا الفضيلة واستجابوا للنداء
وتحملوا الأوجاع واختاروا العذاب بغير ماء
الباذلون من الدماء بما يقى شرف الدماء
والعاكفون على المحبة بالعزيمة والمضاء

ولعل أحلام الشباب مع الشباب مع الولاء
براقة خفاقة تمسى وتصبح بالحداء لها ابتسامات العذارى السابحات بلا استياء
الناس حولك بالمواكب في انفتاح وانطواء
يتمايلو كأنهم فيها سكارى بالعراء
عادت لهم أما لهم بعد الضحية والغداء
شطحاتهم فيها كأحلام الربيع .. بلا انتهاء
تهفوا القلوب لها كما يهفوا الحجيج إلى "حراء"
أنا سابح فيها بمحض إرادتى وبلا رجاء
وأظن أسبح حيث أشطح في ارتخاء وازدراء

حسبى بها أنسى وألهو كيف شئت بغير داء [1]

والتأمل في شعره يكاد يكون شائعاً في كل قصيدة حتى في مسرحه الشعرى الذي أشرنا إليه قبل ذلك يقول في مشهد من مسرحية ميلاد النبى (ﷺ) : على لسان هشام وعبدالمطلب هشام يصور تخلى العرب عن مقاومة جيش أبرهة الذي جاء لهدم الكعبة يقول :

تفرقوا في البوادى ولا تصدوا الأعادى

**عبدالمطلب :**

اللهم إن العبد يمنع حلّه فامنع حَلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدراً محالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدالك
فانصر على آل الصليب وعابدين اليوم آلك

(١) المخطوط بلا عنوان أنشدها في ١٩٧٨/٥/١

هشام :

ماذا هياج واحتدام ..

عبد المطلب :

ماذا وراءك يا هشام

هشام :

طيـــــر أبابيـــــل والرمـــل ســـجيل
واســـــتنوق الفيـــل وأهلـــه اغتيلـــوا
فليشـــــهد النيـــل والقفـــر والغيـــل

قرآن كريم :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

عبدالمطلب :

صوت من الغيب تزجيه السموات

قرآن كريم :

(ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل)
(ألـــم يجعـــل كيـــدهم فـــي تضـــليل)
(فأرســـل علـــيهم طيـــراً أبابيـــل)
(تـــرميهم بحجـــارة مـــن ســـجيل)
(فجعلهـــم كعصـــف مـــأكول)

عبدالمطلب :

صِـــدْقُ لعمـــرى تتلـــى منـــه آيـــات
وانهـــد مـــن هولهـــا للبغـــى غـــارات
ونكســـت للطغـــاة الســـود رايـــات
وأخلفـــتهم مـــن الأيـــام غايـــات
وباتـــت الكعبـــة والغـــرا ومـــا بـــاتوا
مـــن حـــارب الله خانتـــه الضـــلالات
إن آيـــــات ربنـــــا ثاقبـــــات

أمية :

لا يمارس فهن إلا الكفور

خلق الليل والنهار فكل ... مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... ظل يحبو كأنه معقور
خلفوه ثم أبادوا جميعاً ... كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله ... إلا دين الحنيفة بور
بان أمر الإله وانبلج الصبح ... ولم يبق في الورى ديجور
صدق الطاهر ابن مريم عيسى ... أنه سيأتى على البرية نور
ذاك نور الرسول إن أظلم الكون ... وضلت ممالك وعصور[1]

## شعر الطبيعة

زيتون الشاعر ولد وعاش حياته كلها بين مجالى الطبيعة الساحرة حيث ولد في مدينة إدكو بمحافظة البحيرة هذه المدينة الساحرة التي تتعانق في الشمال مع مياه البحر الأبيض المتوسط يفصل بينهما وديان النخيل والأعناب ومزارع الطماطم والبطيخ والقثاء تتخللها كثبان الرمال الذهبية والتلال الصفراء المنسابة مع الرياح حيث تنتقل معها فلا تستقر في مكان ، وتمدها بصفة دائمة مياه البحر بأمواجه الهادرة ، لتخرج على شواطئه تبر زاهيا ، كما تتعانق في الجنوب مع بحيرة إدكو التي تحضنها من جميع النواحى فتتصل بالبحر عند بوغاز المعدية في الغرب ، وتتصل بفرع النيل في رشيد من الشرق وفى وسط ذلك تقع المدينة والملاحات ، وحدائق النخيل التي تزيد عن الملايين ، ظل الشاعر يتنقل بين مدينة إدكو الساحرة موطن مولده وعائلته وبين مدينة الإسكندرية عروس مصر والبحر الأبيض المتوسط ، موطن عمله ونشاطه العلمى والأدبى والثقافى ، وشعراء الإسكندرية معروفون في هيامهم بشعر الطبيعة ومن بينهم شاعرها زيتون وأمين الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب ، لذلك تميز شعر الطبيعة عنده بكل مظاهر التجديد لهذا الفن الأدبى في مدارس الديوان وأبولو والمهجر من الهيام بها وعشقها ، فتجاوبت معه وتعاطف معها ، وألهمته أسرارها ، وجاب

---

(١) مسرحية ميلاد النبى : ص ٨١ – ٨٤ الطبعة الأولى عام ١٩٤٨ مكتبة مصر ومطبعتها بالإسكندرية.

في أعماقها ، وأحبته وأحبها ، فكانت ملاذا وحضنا دافئا له ، تغمره بحنانها ورقتها وجمالها ، فينساب سحرها تنفثه في صوره الشعرية الحية؛ فتتحرك الحياة فيها إلى الكلمة والعبارة والصورة الفنية ، فكأن شعره اقتطعه من بين حدائقها ومزارعها وشطئانها وأمواجها الهادرة في البحر ، وانسياب مياهها في البحيرة ، فتنوعت قصائده حسب اختلاف موضوعاتها ، يقول زيتون الشاعر في قصيدته : "سواقى الفيوم":

وحى من الغرب يسرى في الدياجير
أم صوت (داود) يشدو في المزامير

أم الكتائب عادت بعد غارتها ... أم زفرة الجن أودت بالأعاصير
أم جيرة الحى لما انفض سامرهم ... جرت دموع السواقى والنوافير
هزت حوانك الحرى شكايتها ... ولم لها حين تشكو من معاذير
توشحت بظلال النخل وارتعشت ... أصداؤها وهى ترنو البواكير
والبدر يكسو الربى من صفوه حللا ... والأفق يندى بأنفاس الأزاهير
يحدو النسيم لها والشوق يدفعه ... فإن ونت ساقها لسع الزنابير
بالله يا فجر لا تعجل وبى ظمأ ... فاملأ كئوسى بأنات النواعير
نسيت فيها مع الدنيا ورونقها ... عمرى وأسلمت نفسى للمقادير
آهاتها كصلاة الخوف رتلها ... من جانب الدير أرباب الزنابير
تلك المزاهر فى أوتارها نغم ... يسبى الفؤاد برنات الدنانير
من سحرها سكبت فى خاطرى عجبا ... فاستأذن القلب رفقاً بالقوارير
يا فتنة من ربى "الفيوم" هام بها ... قلبى المشوق ولما تفلح محاذيرى
هاتى شفاهك من سمعى ولا تدعى ... لحنا يرى النود إلا في مقاصيرى
يا ليتنى لا أرى طعم الكرى أبدا ... وأرتمى فيك نشوان الأسارير
وما عليك وأجفانى مؤرقة ... مشدودة بالأحاجى والأساطير
هذا جناحى كما تبغين فارتحلى ... معى وطيرى إلى وادى الهوى طيرى
كأنما أنت والأنسام سارية ... فى هدأة الليل أحلام العصافير [1]

ويخاطب زيتون الشاعر البحر ، فطالماه تحدث معه ، وكثيرا ما لجأ يبث إليه همومه وأحزانه ، ويفرغ معه طاقاته الفكرية والثقافية، ويرى مشاعره وأحاسيسه ، وفى الحوار معه يشعر بالأنس، ويبث الحياة والحيوية في وجدانه ، ويثير عواطفه فتزداد قوة وصدقا، مما يعينه على

(١) ديوان أحلام الربيع : ٥٨/١ ، ٥٩ .

نفسه في انثيال الشعر وغزارته ، فقد بلغت قصيدة "أيها البحر" أكثر من سبعين بيتا يقول فيها. (١)

صاخب أنت كالزمان إذا اشتد وهيمان كالمدى المترامى
عابس باسم عصى طليق شامخ الأنف كالح الوجه طام

تتخطى الشطآن في ثورة أنت أبوها من عهد "حام" و "سام"
يا أخا الدهر أين منك هو الدهر وأين السهام من كف رام
شابت الأرض والسماء ومازالت صبيا كالمارد العزام
هل صحبت القرون جيلا فجيلا وسبقت الورى بحق الأوام
النهى فيك أيها البحرى حيرى والبرايا كليلة الأفهام
لا الأعاصير باقيات على العهد ولا أنت قاطع كالحسام
أنت ما بين طارف وتليد تستقى منك أبرع الأقلام
تزدهى كالربيع طلق الأسارير وتربد بين عام وعام
كم جفون أرقتها في الدياجى دمعها كالسحاب هتان هام
أنت غيب الغيوب والكون ساه شارد اللب عاصب البطن ظامى
والليالى طويتها بين جنبيك وحطمت شوكة الأيام
صاعد هابط تروح وتغدو كالضوارى يسرحن في الآجام
إن تجاسرت كنت ليثا غضوبا أو تطامنت فقت جبن النعام
رابط الجأش لا تهاب ولاتجزع حتى نزعت كل لثام
تتلهى بالمنشآت الجوارى مالها غير رحمة الله حام
والمقادير طوع يمناك تأتى بالنواصى ما شئت والأقدام
والدياجير والضياء تلاشت في حناياك وهى ذات اضطرام
والجبال الحسام تفهق بالرعب وتمضى الجبال غير جسام
يتدافعن بالمناكب لا يعبأن بالصخر والسرى والرجام

وهكذا يصور الشاعر الطبيعة الساحرة في البحر وما يحتويه وما يطويه، وما في جوفه وما فوقه وما حوله ، ومع المكان ومع الزمان ومع الناس والأحوال ، ومع الكثبان والجبال وغيرها من أسرار الكون والحياة ، وليس الأمر قاصراً على القصيدتين السابقتين فحسب بل

(١) المخطوط من غير عنوان نشرت في مجلة الثقافة في ١٩٧٤/٤/١٠.

اتسعت ، دواوينه المنشورة والمطبوعة لقصائد كثيرة ، سواء سيطرت فيها مظاهر الطبيعة وأسرار الكون والحياة على غيرها من الموضوعات ، أو سيطرت نزعة التأمل على القصيدة ، أو تعادل الغرضان معاً التأمل والطبيعة على السواء ، ومن هذه القصائد ما تجاوزت حدها إلى المطولات مثل قصيدة: "على شاطئ الموت" أحلام الربيع : ٣٩/٣٤/١ ، وقصيدة : "على الشاطئ" أحلام الربيع ٤٤/١ الخ،وقصيدة:"الزورق الحيران" أحلام الربيع : /٤٦ ـ ٥٧ ، وغيرها أما القصائد التي كانت دون المطولات فهى أيضا أكثر من ذلك مثل قصيدة "شاطئ المعمورة" أنغام الربيع مخطوط[١] ، وقصيدة "يا جارة البحر" مخطوط بدون عنوان[٢] ، وقصيدة "بحر الربيع وربيع البحر" المخطوط بدون عنوان [٣] ، وقصيدة : "طاحونة الزمن" وهى إحدى طواحين إدكو التي تعمل وتطحن الحبوب بالهواء عن طريق مراوح تحركها الرياح يقول فيها:

في ذروة القاع ألقتها رواسبها ... وللخلود نصيب من معانيها
شماء تفصح عن ريعان صولتها ... هوى الزمان وما أشفت مراسيها
بالأمس كم طحنت حبا وكم عمرت ... بواريها وكم عجت بما فيها؟
واليوم قد عطلت أحجارها أبدا ... أقوت فأضحى كجوف العير واديها
وخاصمتها الرياح الهوج وانتكست ... لهن أجنحة كانت توافيها
كأنما هي نسر فوق شاهقة ... منه الجناح مهيض لا ينائيها
والطرف إن جال فيها راع منهزما ... وارتد عنها حسيرا ليس يحويها
وقد ترى العين رسما غير حافلة ... وللنهى سبحات في نواحيها
كذبت يا طرف ما هذه معطلة ... كلا فتلك سمات الخلد بيديها؟
هي الطبيعة لا تنفك تغمرها ... بكل غراء لافضت أياديها
لا تشرق الشمس إلا عن عواليها ... وليس تغرب إلا عن دوانيها
والبحر يرنو – وإن شط المزار – لها ... أمواجه البيض تبغى أن تحييها
وباسق النخل جيش من كتائبها ... شاكى السلاح مدى الأزمان حاميها
هذى وصيفاتها خفت لزينتها ... عرائس التين سرب من جواريها
وللرمال أهازيج مرجعة ... سجى الأنام ومازالت تناغيها

---

(١) أنشدها في ١٩٦٩/١٠/٢٠ .
(٢) أنشدها ١٩٧٧/٧/١٠ ونشرت في الثقافة في ١٩٧٧/١٠/٧ .
(٣) أنشدها في ١٩٧٨/٤/١٧م .

وللنسيم مراح في أصائلها ... وللمنائر ومض في دياجيها
وللمساجد في ألواذ ربوتها ... مع الضباب شؤون في مراقيها
قعيدة ثم لم تبرح مرابعها ... يوما وما بدلتها عن مشاتيها
دانت لطلعتها الأكواخ ضارعة ... إلى علاها وما أبهى تعاليها
والأنجم الزهر ترعاها وتذكرها ... بالحسن والسحب جادتها غواديها
والديك يهتف بالتكبير منتعشاً ... إذ يلمح الفجر بالإشراق كاسيها
والله أكبر .. كم رنت بساحتها ... فرددتها إلى الأعماق تزجيها
لتلك – من دون ريب – آية قبست ... من الخلود رحيب الساح ضافيها
قامت تكافح لما أن توعدها ... غريمها الزمن العاتى معاديها
توقفت دون طحن الحب زاهدة ... فيما تنال وما خابت مساعيها
واتسأنفت خطبة غراء فاستمعت ... لها الطبيعة في شتى مجاليها
حتى إذا اضطربت من سحر حكمتها ... تصرفت دونها أحلام باعثيها
تمضى إلى النصر لا تلوى على أحد ... ليس الزمان وإن أشرى بثانيها
عدا عليها فما ابتزت مطارفها ... رغم الخطوب وما اغبرت حواشيها
ما إن يصيب بها عن غرة أثرا ... إلا وراح صريعاً من مواضيها
بدا له الصمت وهنا من قوادمها ... حتى إذا اغتر أودى في خوافيها
بالصمت لاذت فما شاهت بجعجعة ... وصمتها شف أفكارًا تواريها
تلقى العصور عصا التيار من نصب ... حيالها .. حيث ماضيها وآتيها
دب الشباب إلى أعطافها وسرى ... ما بين أقدامها حتى نواحيها
والآن غر الذي يجلو مفاتنها ... وساءل الفكر عن أدنى معانيها
أتلك فلسفة للناس مرسلة ... عن الخلود .. ولكن .. أين واعيها؟
أم شاعر في جنان الخلد تنفحه ... أريجها .. وهو بالأنغام يشجيها
أم مدرة قد تجلى في منصته ... يزود دون حياض القوم يحميها
أم قمقم باكرته الريح في جبل ... ثبت الرماد .. فصدت عن أثاقبها
ألا لها الخلد رفافا بواديها ... وحقق الله في الدنيا أمانيها[1]

## الشعر الاجتماعى

من الأغراض الأدبية الجديدة في العصر الحديث الشعر الاجتماعى ، فقد تناوله الشعراء في العصور القديمة داخل الأغراض الأخرى ، ولم يأت وحده مستقلا في قصيدة إلا نادراً ، مثل ابن الرومى

(١) أحلام الربيع : ١/٤١ – ٤٣ .

في شعره ، بينما أنشد الشعراء المحدثون الشعر الاجتماعى في قصائد مستقلة ، سواء عند الشعراء المحافظين المجددين ، مثل أحمد شوقى وحافظ ومحمود غنيم والصافى النجفى وأحمد محرم وغيرهم أو شعراء مدرسة الديوان، وشعراء مدرسة أبولو ، وشعراء المهجر ، وتيارات التجديد المختلفة في الأدب المعاصر ، وكان شاعرنا محمد محمود زيتون من الشعراء الذين اهتموا بالشعر الاجتماعى في مقطعات صغيرة، وفى قصائد كثيرة ، وفى مطولات شعرية ، يقول الشاعر في قصيدة : "عيد الأم"(١)

يا أم عيدك بالسلامة عادا ... يهب البنين الخير والإسعاد
لله در الأمة احتفلت به ... حتى سرى في العالمين وسادا
واليوم كل ابن وكل بنية ... يتنافسان تحية وودادا
والطفل والكهل استعيدا صباهما ... فاسترجعا الأفراح والأعياد
والذكريات المشرقات نزفها ... في يوم عيدك حكمة ورشادا
يا أم تلك تحية من شاعر ... والشاعر يأبى من يديك نفادا
لولا الحنان وأنت مصدر فيضه ... لارتدت الدنيا لظى ورمادا
هذى ظلالك في الربيع عرفتها ... مادمت أبصر غصنها الميادا
وإذا النسيم سرى فأنت وراءه ... والفجر منك إذا أتى يتهادى

إلى أن قال :

ردى السلام على السلام وحطمى ... عن أهله الأغلال والأصفادا

ثم ينتقل إلى قافية أخرى بعد عشرين بيت ليتخذ تجديداً في شكل القصيدة الجديدة فيقول :

يا أم .. قلبك منبع الرحمات ... في عالم الأحراش والغابات

ويمضى في أكثر من عشرين بيتا حتى يقول :

ها نحن عدنا والعروبة أمنا ... تسع الجميع بلحمة وسداة
والأم إن كثر البنون فأمة ... تحميهموا من فرقة وشتات
حباك رب العرش في قرآنه ... وكذلك في الإنجيل والتوراة

ثم ينتقل إلى قافية جديدة ثالثة في هذه القصيدة فيقول :

---

(١) أحلام الربيع : ٩٢/٢ – ٩٤ .

يـا أم عهـدك مـن دمـى يتـدفق والقلـب مفتـون بحبـك يخفـق
أبغـى رضـاك وذاك خيـر ذخيـرة لـى فـي الحيـاة وماسـواه أعشـق

إلى أن قال :

ولأنـت يـا أمـاه مـلء جـوانحى وأنـا الـذي فـي كل قـول أصـدق
لـولاك يـا أمـاه .. كنـت فريسـة لليـأس وهـو المسـتبد الأحمـق
لكننـى أحببـت قسـوته وقـد علمتنـى أن الفتـى مـن يسـبق

وغيرها من القصائد في الشعر الاجتماعى مثل قصيدة : "رد عنى لحالى" ، "مرثية حب" ، "إلى ولدى في الغرب" ، "جارتى العصفور"، "حسن الجوار" ، "رسالة دموية" وهذه في الديوان المخطوط بدون عنوان منشورة في مجلات ثقافية.

وقصيدة : "أنا ما قسوت عليك" في الاخوانيات أنغام الربيع مخطوط[١] وقصيدة : "قريب" ديوان أنغام الربيع[٢] ، وقصيدة "صاحب السر" أنغام الربيع مخطوط[٣] ، وقصيدة : "مع العيد" ديوان أنغام الربيع مخطوط ، وقصيدة : "دار النفاق" أنغام الربيع مخطوط وغيرها من القصائد المقطعات الصغيرة ، وبالإضافة إلى ما ورد في الأغراض الأخرى في نقد المجتمع المعاصر واتخاذ العلاج لحل مشكلاته وأزماته، يقول زيتون الشاعر في قصيدته : "صراحة".[٤]

قطعـت الأرض صـحراء وواحـة فلـم أظفـر مـن الـدنيا براحـة
وهل يرضـى ضميرك عنك يومـا إذا أحجمت عن قول الصراحة
جبـان مـن رأى بغيـا فـأعفنى ولم يشهر على الباغى سلاحه

إلى أن قال :

ولـيس يسـود شـعب لا يبـالى بمـن جعلـوا مباهجـه مناحـه
ومـن بـاع الحيـاة ومـا عليهـا فقـد ضـمن الخلـود لـه رباحـه
ومـا غيـر الصـراحة مـن سـبيل إذا التمسـوا لمجتمـع صـلاحه

---

(١) أنشدها في ١٩٧١/٤/٢٩ ديوان أنغام الربيع .
(٢) أنشدها في ١٩٧٦/١٠/٨ .
(٣) أنشدها في ١٩٧٨/٥/٢م.
(٤) أنغام الربيع مخطوط أنشدها في ١٩٧٠/٩/١٧م.

## الشعر الوطنى

من أغراض التجديد في العصر الحديث الشعر الوطنى ؛ فقد جاء مستقلا في قصائد كثيرة ؛ بل اشتهر بعض الشعراء فيه بالشاعر الوطنى مثل حافظ إبراهيم ؛ فقيل عنه "شاعر النيل" وغيره ، ولم يرد الشعر الوطنى في قصائده مستقلة ، مثل العصر الحديث إلا قصائد تعد على الأصابع عند ابن الرومى والبحترى وبعض شعراء الأندلس ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ظروف العصر الحديث من سيطرة الاستعمار على العالم العربى ونهب ثرواته ، وكبت حريته وتقييده عن التقدم والنهضة بوطنه ، أو ما تركه الاستعمار بعد رحيله عن العالم العربى من تخلف ، مما دعا الشعراء إلى أن يهتموا بأوطانهم ، ويحثوا الشباب والأمة على رقيه وتقدمه ؛ فيجدوا السير في سبيل بناء حضارته للعربية والإسلامية ، وأول من أحب وطنه وموطن مولده هو سيدنا محمد (ﷺ) حين هاجر إلى المدينة المنورة ، لكن قلبه كان لا يزال يرتبط بمكة المكرمة فقال "والله إنك لأحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إلىّ ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت" وظل على هذا الحب والشوق حتى أوصل الله تعالى قلبه وقلوب المسلمين جميعاً إلى يوم القيامة بمكة المكرمة والكعبة المشرفة ؛ فحول القبلة من بيت المقدس في المسجد الأقصى إلى بيت الله الحرام في الكعبة المشرفة ، ليظل القلب مشدوداً بها طوال النهار والليل في جميع الصلوات وأداء المشاعر والمناسك .

وزيتون الشاعر أحب وطنه الصغير في إدكو والإسكندرية وأحب وطنه الكبير في مصر كلها ، وأحب وطنه الأكبر في الأمة العربية والإسلامية، وأكثر في ذلك من القصائد منها قصيدة : من خلف الصفوف" يقول [1]:

أنا الجندى من خلف الصفوف ... وقفت فما يضيرك من وقوفى
على وطنى وقفت دمى ومالى ... ولا أخشى الردى تحت السيوف
ولى عزم وطيد كالرواسى ... تراجع عنه تيار الظروف

إلى أن قال :

وطِرْ للمجد واسخر بالمنايا ... وراقصها على نقر الدفوف
أمامك للعلا باب فزاحم ... ومزق ما أمامك من سجوف
فأنت لها الغداة ورب باغ ... تدور عليه دائرة الحتوف

---

(١) أحلام الربيع : ٢/٩٠ ، ٩١.

إليـــك ذخيـــرة الـــدنيا فأقـــدم وثـب للمجـد مـن خلـف الصـفوف

وله مطولة في الوطنيات،وهي مطولته"٢٦يوليو والإسكندرية" يقول فيها: [1]

خذى مكانك تحت الشمس واختارى فأنـت مـوطن أبطـال وأحـرار
واستبشرى بالمنى فالبحر في طرب يهفو إلى السحر أو يصغى لقيثارى
طابت لياليك للشادى وما برحت أصـائل الصـيف تغريـة بأسـحار
إسـكندرية هـذا عيـد ثورتنـا وافـى فجئـت أحييـه بأشـعارى

وهكذا يمضى في المطولة التي أشرفت على الثمانين بيتا يقول في نهايتها :

إسـكندرية هـذا العيـد طالعنـا بكـل ذكـرى علـى الأيـام معطـار
مـن فـوق منبـرك الصـيفى أطلقهـا داعـى السـلام فكانـت خيـر تـذكار
لقـاؤه كـل عـام ثـورة ولهـا صـدى يطـوف بأقطـار وأمصـار
إسـكندرية أنـت اليـوم أغنيـة تـروى القلـوب بألحـان وأوتـار
يشـدو بهـا البحـر والـدنيا ترددهـا خذى مكانك تحت الشمس واختارى

وتنوعت الموضوعات في الوطنيات عند الشاعر وهى كثيرة : مثل قصيدة : "وما يرهب الاستعمار غير الوحدة الكبرى" أحلام الربيع ١٠٢/٢ ـ ١٠٥ ، وقصيدة : "الجلاء" أحلام الربيع ١١٢/٢ ـ ١١٤ ، وقصيدة : "السد العالى" أحلام الربيع : ١١٥/٢ ـ ١١٩ ومطولة : "في موكب النصر" أحلام الربيع : ١٢٨/٣ ـ ١٣٥ ومطلعها :

أشـرقي يـا شـمس بالبشـرى علـى الـوادي الجديـد
وأخطـــري فتانـــة الطلعـــة مـــن ثغـــر وجيـــد
واقبســـي مـــا شـــئت مـــن وجـــه نبـــي وشـــهيد
واكتبـــي بالعســـجد الرقـــراق أســـفار الخلـــود
واسـبحي يـا شـمس فـي الآفـاق نشـوى ثـم عـودي
وارفعـــي الســـتر.. فهـــذا موكـــب النصـــر الوحيـــد
واشـــــهدي تمنتـــــه البرايـــــا .. أي عيـــــد
يـوم صـار النصـر عيـدا خالـدا فـي (بورسـعيد)

ويظل هكذا يشدو في مطولته حتى يختمها بقوله :

---

(١) أحلام الربيع : ٩٧/٢ ـ ١٠١ .

وحـــدة لـــم تعتـــرف يومـــا بجـــنس أو حـــدود
وحـــدة تنـــتظم الأمصـــار كالعقـــد الفريـــد
وحـــدة لـــم تبـــذر الفرقـــة فـــي بـــيض وســـود
أو تميـــز ســـيدا فـــي الحكـــم يومـــا علـــى مســـود
شـــدت الميـــزان بـــالقرآن والـــرأى الســـديد
فـــابلغي شـــأوك يـــا مصـــر مـــن العـــيش الرغيـــد
وانعمـــي بـــالثورة الكبـــرى علـــى رغـــم الحســـود
وأقيمـــي الســـد والوحـــدة يـــا أم الخلـــود
واذكـــري النصـــر الـــذي أحرزتـــه فـــي (بورســـعيد)

وقصيدة : "دماء على الضفتين" أحلام الربيع ١٣٨/١٣٧/٣ وقصيدة: "بعد النكسة" أحلام الربيع ١٤٠/١٣٩/٣ ، وقصيدة: "نصف ما يوقد صار عيداً لمصر" المخطوط بدون عنوان [١] ، وقصيدة : "مع السلام" المخطوط بدون عنوان[٢] ، وقصيدة : "دمعة عابرة" المخطوط بدون عنوان [٣] ، وقصيدة: "زورق السلام" المخطوط بدون عنوان[٤]، وقصيدة : "ابن القرية" المخطوط بدون عنوان ، وقصيدة : "إن يجنحوا للسلم فاجنح لها" المخطوط بدون عنوان [٥] ، وقصيدة : "مع الجبل" المخطوط بدون عنوان [٦] يقول فيها :

يـا مـن تكبـد منـه الويـل عـذالي وضـاق بـى زمنـى فـي ربعـه الخـالى
حياتـــه شـــغلته عـــن مواكبهـــا وعـاش مـا عـاش بـين القيـل والقـال
لـم يعرفـوا أن مـا أوتيتـه عجـزت عنـه الجبـال وكـم ضـاقت بـأهوال
غصـت محـافلهم وانفـض سـامرهم ومـا اسـتقر بهـم يـوم علـى حـال
خذنى إلى النصر أو فاعصف بكوكبه فلـيس يعجـز عنـه العجـز أمثـالى
طالت حياتى على الآمال أو قصرت ولـم أكـن فـي حيـاتى عبـد آمـالى
مـا نلـت منهـا كفـانى ماسـعدت بـه ومـا ضـجرت إذا لـم احـظ بالغـالى
كم من تجارب مرت بى فكنت لها أقـوى علـى حملهـا مـن كـل حمـال
واجتـزت بالصـبر آفاقـا تجنبهـا غيـرى ومـا عـدت إلا راضـى البـالى

---

(١) أنشدها في ١٩٧٧/٥/١٨.
(٢) أنشدها في ١٩٨٧/٤/١٦.
(٣) أنشدها في ١٩٧٦/٩/٢٩.
(٤) أنشدها في ١٩٧٧/٦/١٥.
(٥) نشرت في الأهرام ١٩٧٧/١٢/٢٤.
(٦) أنشدها في ١٩٧٨/٥/٤.

خـذ السـلام طريقـاً للحيـاة ولا ... تجزع من الحرب واترك ثوبك البالى
الأمس ولى كما ولى وجاء غد ... فـاختر طريقـك لا تعبـأ بأثقـال
وكن مع الحق سيفا إن وقفت به ... أمنت من حوض أطيان وأوحال
دع الأحاديث واسكب في مجالها ... نارا ومن لفحها صغ نور أعمال
الوقت ضاع فقم وانهض إلى أفق ... أعلى فأعلى وحطم سده العالى

## الشعر القومى

والشعر القومى من الأغراض الأدبية التي ظهرت قوية في العصر الحديث ، وهو يشيد بالأمة العربية ، وبالقومية العربية ، وبلغتها العربية لغة القرآن الكريم ، ولغة التراث العربى والإسلامي ، وهو الشعر الذي يشيد بالوطن الأكبر ، وأشاد النقد الأدبى الحديث بالذاتية والشخصية في الشعر الحديث ، كما أشادوا بالقومية في الشعر الجديد ، وأعدوه من الأغراض الجديدة التي نشأت بعدة عوامل ، ألحت على العالم العربى والإسلامي من السيطرة الاستعمارية على الأقاليم الإسلامية والأوطان العربية ، مما يقتضى الجهاد والعمل على إخراج المستعمر من أراضيهم ، وتوحيد الصف العربى لمواجهته بقوة ووحدة واعتصام ، والعمل على بناء الأمة العربية بناء قوياً لتواجه أعداءها ، وتبنى أمجادها، وتسهم في التقدم الحضارى للأمة العربية والإسلامية؛ لتتحقق لها العزة والمجد والسؤدد "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" وقال تعالى أيضا "وأعدوا ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون عدوا الله وعدوكم" ، فكانت كل دولة عربية تشعر بأختها ، وتشاركها بالقول والعمل والجهاد وهذا هو الإيمان الصادق : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وفى الحديث الآخر : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" . لذلك شاع الشعر القومى في الأدب الحديث وتسابق الشعراء في جودته وصدقه وقوته ، وكان من بين الشعراء شاعرنا محمد محمود زيتون ، فقد تنوعت الموضوعات عنده في شعره القومى ، يقول في قصيدة : "على ضفاف الأردن" (١)

(١) أحلام الربيع : ٣/١٢٠ ـ ١٢٤.

على "الأردن" أجنحة ترف ... وأفئدة لها حرب وعطف
وما عبث الطغاة به ولكن ... دم العرب الأباة عليه وقف
دعت بنت "المعز" فجاوبتها ... ضياغم خطوهم في الحق زحف
إذا ائتلفوا فلن يرفض إلف ... أو اختلفوا فليس يدوم خلف
إذا الحدثان أبدى ناجذيه ... فوحدتهم من الحدثان كهف
وتحسبهم إذا انتفضوا صفوفاً ... وهم في الوحدة الشماء صف
وحول الراية الكبرى تلاقوا ... وسدد عزمهم لين وعسف
تصدع ركن الاستعمار حتى ... دنا يوم الخلاص وحان قطف
صحوا بعد التفرق فاستبانوا ... دخائله الدفينة واستشفوا

ويمضى في مطولته حتى ينتهى إلى قوله :

أقيموا سدكم فالحق أولى ... ودون الحق بهتان وزيف
وصونوا مجد أمتكم وعفوا ... إذا الجبناء عابوا أو أسفوا
وخلوا نفطكم عبر الصحارى ... كأن لم يأت بالخيرات كشف
ولا يمسى ضفاف النهر وغدُ ... يكون بأمره رى وصرف
ولا يظفر بساحتكم دخيل ... ولا ينزل بكم ضيم وحيف

ومثل قصيدة : "دولة الصباح" أحلام الربيع : ١٢٥/٣ ـ ١٢٧ وقصيدة : "كرامة" من وحى انتصار قرية "كرامة" الفلسطينية يوم ٢١ مارس ١٩٦٨م ، أحلام الربيع : ١٤٣/٣ ، ١٤٤ ، وقصيدة : "يا جنود الحق" وهم جند فلسطين ، أحلام الربيع : ٣/ ١٤٥ ، ١٤٦ ، وقصيدة : "لبنان" أنغام الربيع المخطوط [١] ، وقصيدة : "فتنة البعث" أنغام الربيع المخطوط [٢] ، وقصيدة "عودى إلى الركب عودى" وهو يخاطب فيها دمشق ، أنغام الربيع المخطوط [٣] ، وقصيدة : "بيروت أخت دمشق" المخطوط بدون عنوان [٤]، وقصيدة : "في حريق المسجد الأقصى" المخطوط بدون عنوان [٥] ، وقصيدة : "ثورة الجار" يحيى فيها الشاعر

---

(١) أنشدها في ١٩٧٧/٩/١٦ .
(٢) أنشدها في ١٩٧٠/٩/٢٠.
(٣) أنشدها في ١٩٧٦/١٠/١.
(٤) نشرت في الجمهورية ١٩٧٦/١٠/١٠.
(٥) نشرت في مجلة الوعى الإسلامي بالكويت .

ليبيا في ثورة أول سبتمبر " ١٩٦٩م [١] ، وقصيدة : "من وحى أحداث لبنان" المخطوط بدون عنوان [٢] ، وقصيدة : "رسالة إلى الملك حسين" المخطوط بدون عنوان [٣] ، وقصيدة : "لست المعمر .. فانتظر" المخطوط بدون عنوان [٤] ، وقصيدة : "لبنان ماذا دهاك" المخطوط بون عنوان[٥] ، يقول زيتون الشاعر في قصيدة : فى حريق المسجد الأقصى "لا عشت إن لم انتقم" السابقة:

تبت يد الجانى الذي أحرقه ... وحطم المحراب والأورقة
قلب النبوات وفجر الهدى ... ما أحمق السهم الذي مزقه
النار لم تعرف طريقا له ... فكيف غالت في الدجى رونقه
والقبلة الأولى التي وحدت ... خلائق الأرض بلا تفرقة
المسجد الأقصى الذي باركت ... أرجاءه عينٌ به محدقة
عين الذي أسرى إليه دجى ... بعبده في ومضة مشرقة
أفضى إليه من أعاجيبه ... وفض من أسرارها المغلقة
واتصل الخلق بخلاقه ... في "سدرة" للمنتهى مورقه
وعاد عبدالله في لمحة ... عبر الصحارى القفرة المحرقة
هنا التقى عيسى وموسى به ... في موكب سبحان من نسقه
القدس يا ويلاه عاثت به ... سليله الكفران والزندقة
غلقت الأبواب في وجهنا ... ولم تكن أبوابنا مغلقة
بكى السلام السمح في أرضنا ... لكنه فض اليد الموثقة
وانقض إعصار الضحى يفتدى ... أقداسنا الكبرى وما أشوقه
خف إلى الثأر أسود الشرى ... وهم حجاة الحق أهل الثقة
واهتز في الإسلام روح الفدا ... وكل جندى بنى خندقة
جريمة العصر وهل عمى ... إلا بمجد الأعين الضيقة
يا مسجدى الأقصى ويا قبلتى ... الأولى وروح الله في المنطقة
لا عشت إن لم انتقم وليمت ... أم على أولادها مشفقة
ولتبق "إسرائيل" في غيها ... حتى أراها في غد مغرقة

---

(١) أنشدها في ١٩٦٩/١٠/٢٧ بالمخطوط بدون عنوان.
(٢) نشرها في الجمهورية في ١٩٦٩/١٠/٣٠.
(٣) أنشدها في ١٩٧٢/٤/٨.
(٤) مجلة التوبة في ١٩٧٧/٦/٤.
(٥) نشرت في الأهرام والأخبار ١٩٧٨/٨/٨.

## شعر الزعامات

من الأغراض الجديدة في أدبنا الحديث والمعاصر غرض جديد بدا لى أن يقف مع الأغراض الأدبية الأخرى ، واجتمعت فيه من الخصائص الفنية ، التي ذكرتها لأول مرة في تاريخ الأدب العربى الحديث في كتابى الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق في الجزء الثالث حتى تكاملت سماته الفنية ؛ لأنها تقوم على قيم إسلامية وإنسانية عامة تصلح لكل حاكم وزعيم وقائد وعالم وأديب ، بحيث تختفى وراءها الأسماء والألقاب وتظل القيم الخلقية هي تمثل غرض الزعامة والقدوة الحسنة والمثل المتميز الذي يضرب به ، ويظل شاخصاً قدوة حسنة لكل الأجيال وفى كل العصور والأصقاع .

وشاعرنا محمد محمود زيتون كان من بين الشعراء الذي ضم شعره غرض الزعامات والقدوة الحسنة في قصائد كثيرة : يقول في "ذكرى صلاح الدين"[1] :

دعونى فهذا يوم عيدى وفرحتى ... وهاتيك في الأيام أروع وقفة
وردوا على قيثارتى من لحونها ... مآثر أبطال كرام أعزة
دعونى أردد كيف شئت فإنها ... مفاخر آبائى وذكرى عروبتى
لها من ولائى ما تشاء ومن دمى ... وسرى وإعلانى وحبى وصبوتى
ترف بقلبى وكلما جاء ذكرها ... فآوى لمحرابى وأسعى لكعبتى
إليها انتمت أصلابنا قد أشرقت ... على هامة الدنيا بنور النبوة
أقام على التاريخ أعظم دولة ... فصدت حشود الغرب عن كل حرمة
أضاءت بها (بنت المعز) وأشرقت ... على مفرق الأيام (بنت أمية)
وأمسى ملوك الغرب أذلة ... يجرون – بعد الغزو – أذيال خيبة
وجمعت شمل العرب بعد تفرق ... فما بعدت (بغداد) عن أهل (برقة)
فهلا ذكرتم يابنى الغرب أننا ... على عهدنا أسد الوغى والفتوة
هو الحق أعلياه كالشمس ساطعاً ... فكانت لنا في الدهر أعظم نصرة

وهكذا يصور زيتون الشاعر الزعيم صلاح الدين الأيوبي ، التي هزت انتصاراته وسماحة الإسلام وعدالة الشريعة الإسلامية العالم شرقاً وغرباً ، وأصبح مضرب الأمثال السامية في التاريخ العالمى ، وذلك في

---

(١) أحلام الربيع: ٣/١٧٥، ١٧٦.

قصيدة طويلة اقتصرت فيها على هذه الأبيات ، وهكذا يمضى الشاعر في تصوير مثل هذه القدوة الحسنة ، وذلك أيضا في قصيدة : "البارودى" أحلام الربيع : ١٦٢/٣ – ١٦٤ ، وقصيدة : "شاعر الخلود" شوقى أمير الشعراء أحلام الربيع : ٣/ ١٦٥ – ١٧٠ يقول فيها :

(شوقى) سبقت الليالى فانتهيت إلى ... وادى الخلود بكأس ما شربناها

خمس وعشرون يا (شوقى) وما برحت ... لك الإمارة والتاريخ يرعاها

شريعة الفن أنت اليوم (أحمدها) ... وكنت بالأمس (عيساها) و (موساها)

تلك الصواريخ والأقمار أعلاها ... دانت لشأوك فارتدت مطاياها

نظمت للعرب والإسلام ملحمة ... فأصبحت سيرة للنشئ قلناها

يا شاعر القمة العليا ورائدها ... هل كان غيرك في الماضين وافاها

وهكذا يصور الشاعر قمة من قمم الشعر الخالدة في مطولته عن إمارة شوقى وزعامته للشعر في الأدب العربى ، وكذلك في قصيدة : "رفاعة الطهطاوى" أحلام الربيع : ١٧١/٣ – ١٧٤ ، وقصيدة "مصطفى كامل" أحلام الربيع ١٧٧/٣ ، ١٧٨ ، وقصيدة "طه حسين في الإسكندرية" أحلام الربيع : ١٧٩/٣ – ١٨٢ ، وقصيدة : "ابن خلدون" يقول فيها [١]:

(إسكندرية) يا (ابن خلدون) ... ازدهت بالمهرجان

واليوم عاودها الوفاء ... وهز عطفيها الحنان

وسعت إليك مواكب ... الفتيان والغيد الحسان

هتفوا بذكرك واحتفوا ... بالقلب واليد واللسان

خفوا إليك على جناح ... الشوق من قاص ودان

عرفوك يا شيخ الأئمة ... في نضالك غيروان

يا عبقرى الشرق هل ... أوتيت ما فوق العنان

تالله أنت يتيمة ... الدنيا ونادرة الزمان

يا من سبقت العالمين ... ومالـه في السبق ثان

ونهجت في التاريخ ما ... أبقى روائعه وصان

وبنيت للعمران صرحا ... لم يتسع يوما لبان

وحملت للآفاق علما ... حار فيه الشاطئان

والغرب سار على ... هداك ومالـه فيها يدان

أنت الطليعة والزمان ... إليك ألقى بالعنان

---

(١) أحلام الربيع : ١٥٨/٣ – ١٦٢.

وفى قصيدة : "ابن القرية" الزعيم محمد أنور السادات الذي قاد الأمة الإسلامية في أشد محنة مرت بها عبر التاريخ في نكسة عام ١٩٦٧م ، ومحاها من الوجود وأعاد للأمة الإسلامية مجدها وعزتها، وهزت انتصارات العاشر من رمضان في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ العالم كله ، هذا الزعيم نشأ في ريف مصر وعاش حياته فيه ، يتردد عليه طول حياته ، يقول في ديوانه المخطوط بدون عنوان من هذه القصيدة:

أحببت للريف العريق نعيمه ... ماء ونوراً ليس يشكو ضيقا
صارت "أبو الكوم" التي شرفته ... مثلا لمن يرجو أبا وشقيقا
أنعم بها من ثورة خلاقة ... ملأت زفير صدورنا وشهيقا
أكرمت يا (سادات) فلاح الحمى ... حلقت في إسعاده تحليقا
و "العلم والإيمان" صار شعارنا ... طهرت منه الحقد والتمزيقا
أبعدت شرذمة النفاق ولم نعد ... لنرى الهتاف ونسمع التصفيقا

وهكذا يصور زيتون الشاعر مرحلة تاريخية حتى نهاية القصيدة لزعيم من زعماء العالم العربى والإسلامي ، كان من القمم التاريخية ، فقد أضاف إلى التاريخ العسكرى وإلى الخطط الحربية مدرسة جديدة في الانتصارات ، أذهلت الخبراء العسكريون ، حتى صارت منهجا يدرس في الأكاديميات الفنية والحربية.

## شعر الممالك والحضارات

أما شعر الممالك والحضارات فهو غرض من الأغراض الشعرية نشأ في العصر العباسى والأندلسى على يد ابن الرومى والبحترى وعدد من الشعراء في الأندلس ، وتكاملت عناصر هذا الفن في العصر الحديث ؛ فاتخذ له موقعاً مرموقا بين فنون الأدب العربى الحديث ؛ فقلما تجد شاعرا من شعرائه خلا شعره من هذا الغرض ، ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر محمد محمود زيتون ، وله قصائد كثيرة أنشدها في حضارة الإسلام والشريعة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية قد شرقت وغربت حتى هزت أركان العروش والأكاسرة والقياصرة ، وقامت الحضارات الأخرى على أسس حضارتنا الإسلامية، وإن أنكر بعضهم ذلك ، واعترف كثيرون منهم بذلك ،

وتناول حضارة الدول والمدن المشهورة وذلك في قصائد كثيرة مثل قصيدة "الهجرة" أحلام الربيع ١٥١/٣ ـ ١٥٥ ، وقصيدة " النبى العائد" يقول فيها [١]:

عطر الكون ليله ونهاره ... وسرى الفجر يجتلى أسراره
نبأ هامت البرايا بلقياه ... فأحيا المنى وزف البشارة
عاد نور الهدى ترف عليه ... من علاها الكواكب السيارة
كم دعاهم إلى الهدى فتجنوا ... هل جنوا بالفسوق غير الخسارة
كالخفافيش لا ترحب بالنور ... وتأبى ذيوعه وانتشاره
أين هاماتهم وأين الأحابيش ... وأين الكتائب الجرارة
نكست راية الطغاة وقامت ... دولة الحق والهدى والحضارة
يا رسول السلام أهلا وسهلا ... عدت باليمن لا بحرب وغاره
باسم الثغر باسط الكف سمحا ... كندى الفجر رونقا وطهارة
عدت كالبدر وهو يدرج في الأفق ... ويزداد نضرة واستداره
وبنى السلام بالحرب تارة ... ينصر الحق والمودة تاره
ليس يألو صفحا عمن أساءوا ... فغدو بعد كفرهم أنصاره[٢]

وهكذا يمضى زيتون الشاعر في تصوير قيم الحضارة الإسلامية ، التي تتجدد كل يوم وفى كل يوم ، لتعيد لنا على سبيل الدوام أسمى منارة ، والقدوة المثلى محمدا (ﷺ) الذي يحث أمته على مواصلة المسير في سبيلها ، وعلى مواصلة العمل البناء والصالح لننشرها في بقاع العالم ، ويصور هذه الحضارة الإسلامية في قصيدة : "الهجرة" أحلام الربيع: ١٥١/٣ ـ ١٥٥ ، وفى قصيدة : "شاعر" أنغام الربيع: مخطوط [٣] ، وقصيدة : "شوقا إلى المريخ" أنغام الربيع : مخطوط ، وقصيدة "بغداد" يقول فيها:

الله أكبر عاد نجمك ساطعا في الأنجم
أحيت فن الموصل وحكمة ابن الهيثم
وازدان فيك سرادق الأفراح بعد المأتم
وتبادل العربى والكردى سيف الجرهمى

---

(١) أحلام الربيع : ١٥٦/٣ ، ١٥٧ .
(٢) أحلام الربيع : ١٥٦/٣ ، ١٥٧ .
(٣) أنشدها في ١٠/١٠ / ١٩٦٩.

فرويت لهفة واله وشفيت وجد متيم
بغداد يا (دار العلوم) وكعبة المتعلم
يا حصن كل معاصر وملاذ كل مخضرم
يا موطن الأحرار أعتيك القيود فحطمى
سودى بأرضك كيف شئت وباسم شعبك فاحكمى[1]

أما قصيدة : "الإسكندرية" فيصور حضارتها القديمة ومنارتها العلمية القديمة ، التي شعت على العالم ، وتوافد العلماء إليها من شتى البقاع ، وإلى مكتبتها المشهورة ، والتى عادت من جديد في حياتنا المعاصرة لتعيد أمجاد الماضى ، وتجدد حضارتها القديمة ، وحضارتها الإسلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة يقول فيها : [2]

إسكندرية يا أم الحضارات ... وقلعة المجد في الماضى وفى الآتي
شاب الزمان فما أبهى علاك وما ... أعلى منارك يا مهد البطولات
أسطورة أنت (ذو القرنين) صاحبها ... وللعلا ما حوت شتى الروايات
عملاقة ردت الأيام صاغرة ... تحبو إليها على ظهر السلحفاة
في كل يوم جديد من روائعها ... والدهر يسمع في صمت وإنصات
تلك الملاحم مازالت تطالعنا ... أسفارها بالمآسى والمسرات

أوصى بها (عمر) (عمروا) فما صدقوا
فيما رووا وتمادوا في الضلالات
ما لغدر من شيم الأحرار إن ملكوا ... وما مشى العرب إلا في المروءات
من (الجزيرة) جاءوا والهدى معهم ... رعاة شاة فكانوا خير سادات
أسيافهم حصدت (الروم) ما غرسوا ... في البر والبحر من بغى وإعنات
دارت عليهم رحاها بعد ما افترقوا
في الشرق والغرب آلاف الجنايات
والفاتحون عيون ملؤها حذر ... من قادم صائف أو عائد شات
إن غادروك إلى الفسطاط عاصمة ... فقد بلغت بهم أعلى المقامات
وفى ثراك رفات الخالدين وكم
كانت لهم في البرايا من كرامات
على الرمال جرت أقلامهم وزكت
أرواحهم وسواهم في المغارات
مشاعل النور في يمناك ما برحت

---

(١) أحلام الربيع : ١١٠/٢ ، ١١١.
(٢) أحلام الربيع : ٧١/٢ – ٧٩ .

## الشعر الفكاهى والسخرية

أما شعر السخرية والفكاهة "الكاريكاتيرى" فهو غرض أدبى انطلق من غرض أدبى قديم وهو "الهجاء" وتطور عنه ، لكنه يختلف عنه في خصائصه حيث يقوم الهجاء على الشتم والسباب الصريح لشخص معين ، أما السخرية والفكاهة فلا يقصد منها السباب ولا الشتم وإنما تقوم على التصوير الساخر ، وما يحتويه من فكاهة تثير العجب والضحك من غير إيذاء صريح لشخص معين في الغالب ، وإن صورت شخصاً معيناً ، يأتى في صورة ينفر منها الناس ويكرهون أن يكونوا على مثالها وصورتها ، كما يترك التصوير الساخر في المتلقى استحسانا وتعجبا ومرحا وابتسامة لا كالهجاء الذي يثير إنكارا وكراهية واشمئزاز ونفورا ، وظهر فن السخرية والفكاهة في الشعر العباسى على يد شعراء اشتهروا بالظرف حينا مثل حسين الضحاك وعلي بن الناجم وغيرهما لكن الشاعر ابن الرومى قد برع في هذا الفن واشتهر به حتى تأثر به كثير من الشعراء من بعده كالمازنى والعقاد ، وعبدالحميد الديب وغيرهم ، ولهذا أشتهر زيتون الشاعر في شعره بهذا الفن الأدبى ، ولعل البيئة التي ولد فيها وعاش بين أهلها ، قد اشتهرت منذ القديم بالنكتة اللاذعة في الأمثال المشهورة فيهم والتى راجبت سوقها في هذه المنطقة وهى رشيد وادكو والإسكندرية ، ولهم في ذلك نكات مثيرة ، لهذا فقد كثر شعر الفكاهة عن زيتون الشاعر ومن قصائده الساخرة : قصيدة: "يا رغيفى" يقول فيها : (١)

يا رغيفى ماذا جرى يا رغيفى ... فتوليت جازعاً كالخريف
هل توالت – حتى عليك – العوادى وأصابتك قاسيات الظروف
كنت صرفا فانتا بك الخلط ... لحت فينا بقرصك المخطوف
وبك يا من حبست عنى رغيفى ... عض قلبى ولا تعض رغيفى

وقد تولى سلفه من الآباء والأجداد منصب "عمدة إدكو" مدة ، وكان جده حازما في حكمه ، شديدا في سلطته حتى قضى على الجريمة وتعقب المجرمين والخارجين والمنحرفين ، فساد الحب والأمن في المدينة ومن صور ردع المنحرفين كثرة الخيل التي تصهل من حوله ،

---

(١) أحلام الربيع : ٣٥/٣.

وكلبه المعلم ، الذي لا يرحم الخارجين على الحكم ؛ فأثارت هذه الصورة شاعرية زيتون ؛ فكتب قصيدة "كلب العمدة" :

قد كان جدى عمدة لإدكو ... يحكم فيها كيفما يشاء
وكان فيها حاكما بأمره ... وكلهم في عدله سواء
إن دخل المدير يوما قصره ... أدهشك وهاله الثراء
خيوله تحت النخيل تصهل ... يفر من حراسها الأعداء
وكلب ينبح كل ساعة ... وانتشرت ببطشه الأنباء
إذا شكا شاك جاء خصمه ... فالكلب وحده هو الدواء
بذاك ساد العدل دون رجعة ... واختفت الجريمة النكراء
وعندما رشحت نفسى نائباً ... تذكر الأجداد والآباء
قالوا : أليس جده الذي ... بالكلب ربى أهلكم فاستاءوا
وانتخبوا من كان دونى همة ... وديدنى العزة والإباء
لو عرفوا لكلب جدى فضله ... لاختارنى الآباء والأبناء[1]

وله قصيدة أخرى في كلب حراسة "منزله" بالإسكندرية أطلق : "تيجو" وهو عنوان القصيدة : في أنغام الربيع[2] يقول :

وفاؤك لا يعلو عليه وفاء ... ومثلك يعلو في هواه إخاء

إذا شتموا قالوا : "ابن كلب" وطالما
أرادوا به ذم الذين أساءوا

أمين وهل فيهم أمين يفوقه
ورب نباح منه وهو غناء

وإن قلت يا (تيجو) تعالى أجابنى
ولو لم يكن فيما أراه عطاء

فأنعم من ساهر غير غافل ... ويصغو في مقداره الأجداء
أقيده طول النهار وفى الدجى ... يروح ويغدو ماله رقباء
فما من أخ يحنو على حنوه ... ولا ولد أرجوه حيث أشاء

مدحتك يا (ابن الكلب) لا أبتغى بها
سوى أن هذا المدح فيك وفاء

تدور طول الليل حول حديقتى ... وليس على هذا الجميل جزاء

---

(١) أنغام الربيع : مخطوط أنشدها في ١٩٧٧/٥/٢٦ .
(٢) أنشدها في ١٧ / ٩/ ١٩٧٦ .

إلى أن قال :

فلا عجب إن قلت فيك قصيدة ... وكم يتمنى بعضها العظماء
لقد ضقت ذرعاً بالنفاق وأهله ... وعاتبنى الكتاب والشعراء
وصيتك يا (تيجو) أمينا وحارساً ... وأين هو الحارس والأمناء

وله قصيدتان بعنوان : " شيطانتى ١" في المخطوط بدون عنوان[١]، وأخرى "شيطانتى ٢" في المخطوط بدون عنوان ، وله قصيدة بعنوان "خنفس" في المخطوط بدون عنوان [٢] وهى موجه من موجات الميوعة والعبث ، وشكل من شكل الخروج على عادات المجتمع في المظهر وتقليعة من تقاليع الشباب المعاصر في ذلك الوقت ، مثل موجة الكلمات والعبارات السائدة على لسان الشباب في هذه الأيام لاتمت إلى ثقافتنا وإلى أصالتنا مطلقاً ، فهى خارجة عن قيمنا الخلقية وعن لغتنا الفصيحة الجميلة، وهى كلمات وعبارات لا أحب أن أذكرها هنا حتى لا تتخذ ذريعة لمن يقرأ فربما يفتن بها أو يروجها أو ينقلها إلى غيره ، فينبغى ألا تذكر ، حتى لا يتمثل بها على كل حال ، وأما عنوان الشاعر "خنفس" فهى موجة نجح المعاصرون في حربها ، حتى اختفت تماماً ، لذلك ذكرتها وذكرت القصيدة على سبيل السخرية والفكاهة لذلك جعلها زيتون الشاعر في الديوان المخطوط ولم يخرجها مع دواوينه المطبوعة والمنشورة لأن تاريخ نشرها يشمل تاريخ إنشاد القصيدة وانتشار هذه الموجة المنحرفة يقول فيها : [٣]

حسبته فتاه ... العفو يا فتاه
فشعره مسترسل ... غطى على قفاه
أين إذن جبينه ... وأين حاجباه
قميص مزركش ... يذهل من يراه
تنافرت ألوانه ... والذوق فيه تاه
حتى المفاتيح التي ... تلهو بها يداه
وخاتم يلمع في ... يمناه أو يسراه
وصوته مخنث ... تنفر من صداه
في جيده سلسلة ... كذاك معصماه
كالخيزران عوده ... فما الذي لواه
مدلل .. وإن مضى ... من عمره .. صباه
يكاد من دقته ... يذوب في هواء

---

(١) الرائد في ١٩٧٧/٥/١٤.
(٢) أنشدها في ١٩٧٦/١٠/١.
(٣) أنغام الربيع : مخطوط أنشدها في ١٩٧٦/١٠/١.

كـــل لســـان ســـاخر بنكتـــة.. رمـــاه
وكـــل مـــن يـــراه يخجـــل مـــن يـــراه
وحينمـــا حـــل فســـخط فـــي العيـــون والشـــفاه
التـــيس يـــأبى أن يكـــون والنعـــاج والشـــباه

واضـــيعة الشـــباب حـــين ضـــاع مســـتواه
فمـــن إذن نرجـــووهم ســـفينة النجـــاة
ويـــالهم مـــن وصـــمة تنـــدى لهـــا الجبـــاه
كيـــف يرجـــى مـــثلهم للـــزود عـــن حمـــاه
وكيـــف تعلـــو رايـــة لـــيس لهـــا حمـــاة
وكيـــف تبنـــى أمـــةٌ مجـــدا بـــلا بُـــناه
يـــا ويـــح جيـــل فيـــه أصـــبح الفتـــى فتـــاه

**أغراض أخرى** : تكاد الأغراض الأدبية في الشعر قديماً وحديثاً أتى عليها شعر زيتون الشاعر بعد أن أحصيت عدد القصائد على سبيل الاستقراء في كل غرض من الأغراض التي سبق عرضها عرضا مهدت فيه للباحثين من بعدى لا فتح لهم مجال البحث والدراسة في موضوعات شعره الغزير والمتنوع.

وبقيت بعض الأغراض الأدبية جاءت على سبيل القلة في شعره مثل قصيدة : "أصداء" أحلام الربيع : ٨٥/١ ومطلعها :

وهبتمو روحى وأهديتهم شعرى وأطلعتهم سرى وكاشفتهم أمرى
وآثرت أن أفضى شبابي راضيا بما نلت من علم وما حزت من فخر
تذرعت بالطهر الصريح ولم أكن لأوتر ذخرا في الحياة على طهرى
سلاحى إيمانى العتيد وقائدى ضميرى وأجناد من الشيم الغر الخ

وله قصيدة أخرى وهى "فوق السحاب" في المخطوط بدون عنوان[1] أما الهجاء فقد جاء في عدة قصائد وهى : "الأهل والدارى" أنغام الربيع ، وقصيدة : "مقاييس وأحكام" أحلام الربيع : ١٤٧/٣، وهو هجاء الصفات السيئة والافتراءات الهابطة ليبنى على أنقاضها القيم الخلقية ، فينشدها ويحث على التمسك بها ، والتخلص من المساوئ

(١) أنشدها في ١٩٧٧/٤/١٥.

والانحرافات بلا شتم ولا سباب ولا قبح ، ولا توجيه ذلك إلى شخص معين بذاته يقول : [1]

عجبت للناس فيما يحكمون به ... من المقاييس حتى عارضوا القدرا
هبت عليهم من الأهواء عاصفة ... فما رعت عندهم سمعا ولا بصرا
من كان في الدرجات الدون حلق به ... خسف وعسف وعاش العمر محتقرا
ومن علا ظل بالأحقاد متشحاً ... فهل جريرته أن يسبق البشرا
وخامل القوم يحظى بالرضى وله ... مكانة عندهم إن غاب أو حضرا
وصاحب الفكرة العصماء منتقد ... وإن يكن في غمار الناس مستترا
الجد أصبح مراً في حلو قهو ... والهزل أصبح في أسماعهم دررا

وله في الهجاء أيضا قصيدة : "قابيل ناح على أخيه" في المخطوط بدون عنوان [2] ، وقصيدة : "أسفى عليك" في المخطوط بدون عنوان[3] ، وقصيدة : "ما باله انحرفت خطاه" في المخطوط بدون عنوان[4] ، وقصيدة "صخرة الشاطئ" في المخطوط بدون عنوان [5] ، وقصيدة "في الطريق" في المخطوط بدون عنوان [6] ، وقصيدة : "الإله الذبيح" في المخطوط بدون عنوان [7] .

هذا هو الشعر الغنائى والذاتى عند زيتون الشاعر بخصائصه الفنية واتجاهاته الأدبية ، وأغراضه الأدبية وخصائصها الفنية ، أما الشعر الموضوعى والمسرحى فقد أنشد فيه عدة مسرحيات منشورة وهى مسرحية "مينا" عام ١٩٤٧ ، ومسرحية "وحدة الوادى" عام ١٩٤٨ ، ومسرحية : "ميلاد النبى" عام ١٩٤٨م ، ومسرحية "جهاد النبى" عام ١٩٤٩ ، ومسرحية : "تحت أسوار الإسكندرية" عام ١٩٧٢، وسبق أن عرضنا نموذجا من مسرحية "ميلاد النبى" ، ونكتفى هنا بذكر مشهد من مسرحية "تحت أسوار الإسكندرية" للتنبيه على أن الشاعر كان يسير في ركب المجددين في الشعر المسرحى الحديث بعد

---

(١) أحلام الربيع : ٣ / ١٤٧ .
(٢) مجلة الهلاك ١٨ / ١٠/ ١٩٧٨.
(٣) أنشدها في ١٩٧٠/١٢/٩.
(٤) أنشدها في ١٩٧٠/١٢/١٢.
(٥) أنشدها في ١٩٧٧/٥/١٣.
(٦) أنشدها في ١٩٧٠/٩/١٠.
(٧) أنشدها في ١٩٧٨/٤/١٥.

أن بدأه أمير الشعراء أحمد شوقى وعزيز أباظة وعامر بحيرى وغيرهم لنترك للباحثين أن يكتبوا عن المسرحية عند الشاعر محمد محمود زيتون يقول في هذه المسرحية [1]:

[يدخل حاطب بن أبى بلتعه ووردان مولى عمرو]

حاطب : سلام عليكم أجمعين

المقوقس : وعليكما منى السلام ومرحبا

وردان : (يقدم نفسه) : أنا مولى عمرو .. وردان

المقوقس: أهلا قدومك يا وردان

قيس : وردان يتكلم بلسان الرومان

وردان : وبكل لسان أتكلم

حاطب : (يقدم نفسه) وأنا حاطب .. حاطب بن أبى بلتعه

المقوقس : (يجهد ذاكرته) أتذكرانى في يوم من ذات الأيام رأيتك

عبد الله : قد كان رسول الله إليك

المقوقس: الآن عرفتك .. قد جئت إلينا برسالة من قبل محمد

قيس : صلى الله عليه وسلم

[يرددها عبدالله وحاطب ووردان]

المقوقس : ورددت عليه برسالة

حاطب : وجوارى .. وهدايا أخرى

قيس: وتسرى "بمارية" حية تلقاها سرا لم يعتبرها جارية وسكنت بالعالية

أم أرمانوسة: هل كان لها منه أولاد ؟

حاطب : ولد واحد .. مات صغيرا في عمر الورد

أرمانوسة: أبتى إن شئت أئذن للقوم بخمر وطعام

قيس : (في غضب وحمية) ماذا ؟

معذرة : هي لا تعرف حكم الإسلام

(لأرمانوسة) الخمرة يا بنتى في دين الإسلام حرام

أرمانوسة : عفوا إن كنت أسأت فما أقصد غير التكريم ولكم دين.. لا أعلم عنه تحليل فيه أو تحريم

---

(١) تحت الأسوار الإسكندرية ص ٨٧ ، ٨٨ مؤسسة شبا الجامعة بالإسكندرية عام ١٩٧٢م.

قيس : وحرام لحم الخنزير .. والميتة والميسر
عبد الله : والرشوة والسحت حرام .. وربا الأموال وقتل النفس
حاطب : والإسلام .. سلام بين الناس

وهكذا يدور الحوار بين شخصيات المسرحية في أحداث ومشاهد وقعت عام عشرين هجرية الموافق (٦٤٠م) ، في مدينة النجوم شرقى الإسكندرية وذكر التاريخ بأن المراد بها مدينة إدكو موطن ميلاد الشاعر زيتون ، وفى قصر المقوقس على شاطئ الإسكندرية وفى مدينة الإسكندرية ، وتحت أسوار المدينة ، وفى الختام نشير بإيجاز أن الشاعر تأثر بالمدارس الأدبية والنقدية الحديثة أولها مدرسة المحافظين المجددين وهى مدرسة شوقى وحافظ وغيرهما ، ومن سار على نهجهم وخاصة في مسرحه الشعرى ، ومدرسة أبولو ، وخاصة في شعر الطبيعة والشعر الرومانسى عنده ، والشعر المسرحى أيضا ، ومدرسة الديوان التي توثقت صلته بها عن طريق عبدالرحمن شكرى حين كان يصحبه في الإسكندرية وعن طريق عباس محمو د العقاد حين كان يحضر صالونه الأدبى ، ويجالسه كثيراً ويستمع إليه ، وقد أشاد بشعره في أكثر من موطن ، ولذلك فهو متعدد الاتجاهات الأدبية في العصر الحديث ماعدا شعر التفعيلة والقصيدة النثرية ولقد صرح بأنه لا يصح لأحد أن ينسبه إلى مدرسة ما من مدارس الشعر قديمها وحديثها ولا إلى مدرسة التقليد ، لأن أشعار تعكس على مرآة الزمان شخصيتى الثقافية والإنسانية والاجتماعية المتفاعلية مع الدنيا التي تتبلور في قول القائل :

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر (١)

ويؤكد زيتون الشاعر بأنه لا ينتسب إلى مدرسة معينة ، ولكننى من خلال هذه الدراسة وجدت الشاعر متعدد المدارس الحديثة والاتجاهات الأدبية المتنوعة في العصر الحديث ، على الرغم من تعارض الشاعر لوجهة نظرنا ، فالشاعر غير الناقد لأن الشاعر يغوص في أعماق نفسه ، والناقد يقف على أبعاده المتنوعة في النفس وفى الدوافع وفى الاتجاهات وفى النص الشعرى وفى البناء الفنى للقصيدة ،

(١) خاتمة أحلام الربيع : ١٩٥/٣ .

وشتى الظروف والملابسات في حياة الشاعر ومجتمعه ودراساته وثقافاته المختلفة فالشاعر محمد محمود زيتون يقول عن نفسه وعن شعره"

"ومن هنا كانت هذه المجموعة وقفات وتأملات خاصة صيغت في قوالب شعرية (عربية) لا يمكن أتهامها بالتقليد لمجرد أنها تجرى على سنن الوفاء للشعر العربى في لفظه ومعناه وموسيقاه والدافع الذي كان من وراء انبثاقه إلى النور ، ولهذا ، لن أقبل أن ينسبنى أحد من النقاد إلى مدرسة ما من مدارس الشعر قديمها وحديثها ، وإن كان لها في نفس قدر متفاوت من التقدير ، لا يرتفع إلى مستوى الانتساب والانتماء إلى أصحابها ، شأنى في ذلك شأن كل فنان له من الحرية ما يستطيع به أن يؤكد (الذات) التي بها ينفرد عمن سواه والتى بها يتحقق اللحن المميز لفنه في كل موقف من مواقفه في الحياة" [1].

وسبق أن ذكرت أن العقاد أثنى على شعره بكثرة الأخيلة والخيال في مدرسة الديوان هو الشعر ؛ فهما قرينان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما ذكرت أن الشاعر الأبولى إبراهيم ناجى أثنى على شعره ثناء كبيراً أخجله وذكر أنه لا يستحق هذا الثناء الكبير ؛ لأنه كما قال : أنه صدر من شاعر عملاق صاحب الأطلال والعودة . وفى الرابع والعشرين من ديسمبر عام ثمان وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية ودع الحياة وفاضت روحه إلى بارئها ليحيا بتراثه الخالد رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

**أ.د. على صبح**
أستاذ الأدب الإسلامي
بجامعة الأزهر

(١) خاتمة أحلام الربيع : ٣/١٨٥ ، ١٨٦.